دور الظروف الطبيعية في سير الحملات الصليبية على مصر

دكتور/ كميـــل عزيـــز صليـــب
المدرس بمعهد الدراسات الأدبية
كنج مريوط

يدور موضوع هذا البحث حول دور الظروف الطبيعية في صد الغزوات والحمـــلات الصليبية على مصر، ومن أبرز هذه الظروف الطبيعية بل وأهمها هو نهر النيل الذى يمثل عامل طبيعى فى مصر ولعب دورا كبيرا فى حياة المصرى على مر العصور وساعد كثيرا على قيـــام الحضارات المصرية .

ومنذ العصور القديمة وحتى الأن وهو معين كبير للشعب المصرى إذ قام بدور كبير فى خدمة المصريين، كما كانت تحصيناته وسدوده تقوم بدور كبير فى هذا الأمر ، وينضم لهـــذه العوامل الطبيعية أيضا الظروف المناخية بما تحمله من عناصر أهمها الأمطار والحرارة والعواصف والسيول أحيانا ، وقد قامت كل هذه العناصر بدور هام فى سير أحداث هجمات الـــصليبيين على مصر، كما قام سطح مصر وطبوغرافيته وأختلافه وخصوصيته من مكان إلى آخر بـــدور هام فى مواجهة العدوان الصليبى على الأراضى المصرية. ومن هنا تأتى أهمية هذه الدراسة .

فمنذ قدوم الصليبيين إلي الشرق في عام ١٠٩٦م /٤٨٩ هـــ وتأسيسهم لامـــاراتهم الصليبية الأربع فيها كانوا يفكرون جديًا في مشروع غزو مصر ، والدليل على ذلك أنهم قبل أن يستولوا على مدينة بيت المقدس عقدوا مجلسًا للحرب في مدينة الرملة في أوائل يونيو عام ١٠٩٩م/ رجب ٤٩٢ هـــ وانتهوا فيه إلي أنهم إذا أرادوا أن ينعموا بالهدوء والاســـتقرار في بلاد الشام فعليهم أولاً الاستيلاء على مصر[١] ، وذلك لأنهم أدركوا أهميتها ومكانتها وأنهـــا قلب العالم الإسلامي النابض وسلاح الدفاع عنه، كما أن ما صادفوه من مقاومـــة ومهاجمـــة الجيوش الفاطمية لهم أكد لهم هذا الأمر ، ولكنهم لم يستطيعوا تطبيق هذا المشروع فى نهايـــة القرن الحادى عشر لأن الظروف التى أحاطت بهم فى هذا الوقت لم تكن تسمح بذلك ، ولأن مملكة بيت المقدس لم تكن قد قامت بعد ، ولأن أقدامهم لم تكن قد ثبتت فى فلسطين مثلما صار عليه الوضع فى القرنين الثانى والثالث عشر [٢].

---

(1) Albert d`Aix, Historia Igierosolymitana, in Recueil desHistoriens des Croisades Historiens Occidenttaux, tom., IV, Paris,1879, p. 299. راجع :

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة على الأسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨، ص٣٧-٣٨.

(٢) محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص٣٨، ٧٤.

وكان جودفري أوف بوايــو[١] Godfrey of Bauillo (١٠٩٩– ١١٠٠م) أول حاكم لمملكة بيت المقدس يفكر في غزو مصر ، وأعلن استعداده للتنازل عن مركــزه في المملكة الصليبية بعد تنفيذ فكرته . ولكنه لم يستطع تنفيذ شئ من مشروعه نظرًا لقصر فتــرة حكمه[٢].

وكذلك بــذل خليفتــه بلــدوين Baldwin of Boulogne [٣] (١١٠٠ – ١١١٨م) عدة محاولات للوصول إلي هذا الغرض ، وعمل على تأمين حــدود مملكــة بيــت المقدس من ناحية الجنوب وتمكن من السيطر على المنطقة الممتدة من جنوب البحر الميــت إلى الميناء المسمى الأن إيلات والذى يقع على خليج العقبة ، وأكد سيطرته على هذا المكان ببناء قلعة حصينة هى قلعة الشوبك Montreal[٤]. ويرى المؤرخين أنه قام بهذا العمل بغــرض

---

(١) جودفري أوف بوايو:ولد فى المانيا فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى ، وكان من كبار رجــال الإقطــاع فى الأمبراطورية الرومانية الألمانية ، وكان يؤيد الأمبراطور الألمانى هنرى الرابع فى صراعه ضد البابوية ، قلده الأمبراطــور على اقطاع اللورين الأسفل الواقع على ضفة نهر الراين عام ١٠٨٩ م ، قام ببعض الحروب ضد الأقطاعيين المجاورين له، وكان صورة كاملة للفارس الأقطاعى فى أوربا العصور الوسطى فكان طويل القامة ، مفتول العضلات كما كان محاربــا شجاعا، وأشتهر بالورع والتقوى ودماثة الخلق ، أشترك فى الحملة الصليبية الأولى ، وتقلد مملكة بيت المقدس ، وكــان أول ملك صليبى عليها ، ولكنه مات سريعا فى عام ١١٠٠م وخلفه على المملكة أخيه بلدوين البولونى .

راجع : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، الأسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩، ص ١٧٨- ١٨١.

Bréhier, Louis. "Godfrey of Bouillon." The Catholic Encyclopedia. Vol. 6. New York: Robert Appleton Company, 1909.

(٢) محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦١، ص ٤ . محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص٣٨، ٣٩.

(٣) بلدوين أوف بوايو: ولد فى المانيا فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى، وكان من رجــال الأقطــاع ، وكان مثل أخيه جودفرى يؤيد الأمبراطور الألمانى هنرى الرابع فى صراعه ضد البابوية ، أشــترك فى الحملــة الــصليبية الأولى، وأسس أمارة الرها الصليبية ، تقلد مملكة بيت المقدس بعد موت أخيه ، أسس قلعة الشوبك ليهدد بها مصر وقام بالهجوم على مص لكنه فشل فى الإستيلاء عليها ، مات سريعا فى عام ١١٠٠م وخلفه على المملكــة أخيــه بلــدوين البولونى.

راجع : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص٨ ، ٩ ، ٥٨ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ١٣٥ ، ١٧٨،١٨١.

(4) Jacques de Vitry,The History of Jerusalem, trans. From the Original Latin Text ,by Aubrey Stewart , London ,1896,pp.6,7.

فصل مصر عن بقية العالم الإسلامى ، فيسهل عليه مهاجمتها وغزوها فى الوقت المناسب [١]. وقام بعدها بحملة على مصر فى عام ١١١٨م /٥١١هـ للإستيلاء عليها ، وتمكن من الأستيلاء على مدن مصر الشرقية الواقعة فى طريقه وأولها مدينة العريش[٢] ومن بعدها مدينة الفرما[٣] ، ثم بلغ إلى مدينة تنيس[٤] واستولى عليها ،وتقدم حتى بلغ فم النيل عند فرع دمياط

=وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ، أربع أجزاء ، الجزء الثانى ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، الكتاب الحادى عشر ، فصل ٢٩.

(1) Runciman,S, A Story of The Crusades,3 vol., Cambridge, 1945, II, p.97.

(٢) العريش : تقع على ساحل البحر المتوسط شمال شبه جزيرة سيناء ، وتبعد نحو ٣٤٤ كم شمال شرق مدينة القاهرة ، عدها المؤرخون المسلمون آخر حدود الشام من الناحية الجنوبية وأول حدود مصر من الناحية الشرقية ، وكانت مليئة بالنخي والبساتين ، ويكثر فيها الحيوانات البرية المستأنسة والوحشية ، وكان الأمراء المسلمون يسافرون إليها لممارسة هواية الصيد وخاصة الظاهر بيبرس ، وفى العصر الحديث زحفت الرمال عليها وغطت أجزاء كبيرة من أطلال المدينة القديمة . =

أنظر : على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ٢٠ جزء ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨ ، جـ ١٤ ، ص١٢٧ – ١٥٠. ؛ محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، قسمين ، ٤ جزء ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ق ١، ص٢٦٧. ؛ المقريزى : المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، وضع حواشيه خليل المنصور، ٤ أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨. جـ١ ، ص ٣٨٩ .

(١) مدينة الفرما: تقع فى شرق مصر بالقرب من مدينة بورسعيد الحالية ، عند نهاية مصب الفرع البيلوزى القديم للنيل الذى كان يصب فى البحر المتوسط ، وسميت بيلوزيوم نسبة له ، كانت مشهورة ومعروفة منذ العصور الفرعونية وسميت بيت أمون ، وفى العصر القبطى عرفت بأسم البرمون ومعناه المدينة التى تقع فى أول مصر من الناحية الشرقية ، أزدهرت جدا بقصورها وحقولها وبساتينها وكنائسها وأديرتها ورهبانها، كان لها ميناء تجارى كبير أسهم فى قوة أقتصادها ، وفى العصر العربى سميت الفرما ، وتعرضت للتخريب كثيرا على يد الفرس ومن بعدهم العرب والصليبيين فى أثناء هجماتهم المتعددة على مصر .

أنظر : على باشا مبارك : مرجع سابق ، جـ ١٤ ، ص ٢٣١ – ٢٣٣ . ؛ المقريزى : مصدر سابق، جـ١ ، ص ٣٩٠ – ٣٩٣ .

(٢) مدينة تنيس : جزيرة قديمة كانت تقع فى بحيرة تنيس أو كما تسمى اليوم بحيرة المنزلة ، وتقع فى الجهة الشمالية الشرقية منها ، على بعد تسعة كيلو متر فى جنوب غرب مدينة بورسعيد الحالية ، وسميت على أسم أحد أبناء سام أبن سيدنا نوح ، هى من المدن المصرية القديمة ، وفيرة الماء وطيبة الهواء، وكان بها حقول وبساتين كثيرة ، وكان أهلها يخزنون الماء فى فصل الصيف حيث فيضان النيل ، وفى فصل الشتاء يدخلها ماء البحر المالح ويتسبب فى ملوحة مائها ، وكانت مشهورة بصناعة الثياب والأقمشة، وكانت تصنع فيها كسوة الكعبة ، وأشتهرت بإنتاجها =السمكى الوفير.

، ثم تراجع ورحل عن الأراضى المصرية خوفا من هجوم الجيش الفاطمى عليه[١]. وفشلت خططه فى الإستيلاء على مصر. ويبدو أن الملك بلدوين الثاني[٢] **Baldwin II** (١١١٨ – ١١٣١م) والملك فولك الأنجوي[٣] **Fulk of Anjeu** (١١٣١ – ١١٤٤م) انشغلا بالحروب التي دارت بينهم وبين المسلمين وبمشاكلهما الداخلية ، ولم يبذلا محاولات لغزو مصر[٤].

أعاد عمارتها وتحصينها صلاح الدين الأيوبى عام ٥٧٧هـ ، وفى عام ٥٨٨هـ أخليت من سكانها بسبب خوفهم من الهجمات الصليبية ، وفى عام ٦٣٤هـ أمر الملك الكامل بهدمها بسبب إعتداء الصليبيين عليها .

راجع : المقريزى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٣٢٦ – ٣٢٩. ؛ على باشا مبارك : مرجع سابق ، جـ١٠ ، ص ٩٨ – ١٠١.

(٣) وليم الصوري : مصدر سابق ، الجزء الثانى ، الكتاب الحادى عشر ، فصل٣١.

(١) بلدوين الثانى : ولد بفرنسا فى أواخر القرن الحادى عشر ، داخل حدود أسقفية ريمز وكان والده هيوج كونت ريثيل ، وأمه تدعى مليذاند ، وتربى على يديهما تربية دينية، وأتصف بحسن الخلق ، وحمل كثير من صفات الفروسية فى العصور الوسطى ، ترك عائلته ومدينته وخرج مع الدوق جودفرى فى الحملة الصليبية الأولى ، وقلده بلدوين الأول خلفا له فى أمارة الرها ، ثم خلفه أيضا فى الجلوس على عرش مملكة بيت المقدس ، قاوم الحملات الفاطمية على المملكة ، وأستطاع الأمير بلك أبن بهرام الأرتقى أبن أخى إيلغازى وصاحب حران أسره ، وأطلق سراحه عام ١١٢٤ م ، وعمل على حماية الوجود الصليبى فى بلاد الشام وأطراف العراق ، ثم توفى عام ١١٣١م .

راجع : وليم الصوري : مصدر سابق ، الجزء الثانى ، الكتاب الثانى عشر ، فصل ١، ٤ ، ٦ ، ١٢ ،١٥ – ٢٠ . ؛ محمد محمد مرسى الشيخ : عصر الحروب الصليبية فى الشرق، الإسكندرية ، ١٩٩٦، ص٢٠١ – ٢١١.

(٢) الملك فولك الأنجوي : هو أبن فولك كونت تورين ومين وأنجو ، أستدعاه بلدوين الثانى إلى الشرق الصليبى وزوجه من أبنته ميليزند ، وصار والى العهد على المملكة الصليبية، ومنحه بلدوين مدينتى صور وعكا لتكون إقطاعية له ولصديقه وليم بيورى طول حياته، وكان فولك مخلصا لمليكه بلدوين طوال حياته ، ثم خلفه على عرش المملكة بعد وفاته، شهد بداية عصره رحل أفراد الجيل الأول من الصليبيين فى بلاد الشام أما بالموت أو برجوعهم إلى بلادهم بغرب أوربا ، لذلك تبنى سياسة المحافظة على الكيان الصليبى، ومالبث أن تعرضت الأمارات والممتلكات الصليبية بالشام لهزات عنيفة من جانب عدة أطراف أولهم الصليبيين أنفسهم الطامعون فى التملك والثروة كما حدث فى إمارتى أنطاكية وطرابلس ، أو من جانب المسلمين الذين أستعدوا لمقاتلة الأعداء ومنهم المجاهد الكبير عماد الدين ذنكى الذى كاد أن يأسره فى قلعة بعرين إلا أنه أفتدى نفسه بالمال .

راجع : وليم الصوري : مصدر سابق ، الجزء الثانى ، الكتاب الثالث عشر ، فصل ، ٢٤ – ٢٨ . ؛ الكتاب الرابع عشر ، ١ ، ٢ ، ٤ – ٧ ، ٩ ، ٢٢ – ٢٩ . ؛ محمد مرسى الشيخ ، مرجع سابق ، ص ٢١١ – ٢٢٠.

(٣) محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ٤٤.

وفي عهد بلدوين الثالث[1] Baldwin III (١١٤٤– ١١٦٢م) تجددت الغارات الصليبية مرة أخري على مصر، وقام الصليبيين في عام ١١٥٢م /٥٤٥هـ بالإغارة على مدينة الفرما ونهبوها وأحرقوها وعادوا إلي بلادهم [٢]. ثم قاموا بحملة استطلاعية على مدينة العريش في عام ١١٥٨م/٥٥٣هـ، ولكن الجيش المصري تصدي لهم وطردهم[٣].

ويبدو أن هجمات القوات الصليبية على مصر في هذه المرحلة كانت هجمات ضعيفة كان غرضها السلب والنهب ، فضلاً عن جمع معلومات عن مصر ومدنها وحكومتها وجيشها ، إلي جانب بث الخوف في نفوس الجيوش الفاطمية وتفتيت قواها حتى تكف في مهاجمتهم في بلاد الشام . وأيضًا كشفت عن عدم قدرتهم في هذه الفترة عن الإستيلاء على مصر بسبب قوتها ومناعتها وتشدد جيوشها الفاطمية في الدفاع عنها. ويمكن النظر إلي كل هذه المحاولات على أنها كانت مرحلة أولي ولم يكتب لها النجاح.

---

(١) بلدوين الثالث : هو أبن بلدوين الثانى من زوجته مليزند ، وأسهب وليم الصورى فى مدح صفاته حتى قربه من الزهاد والقديسين ، إلى جانب نواله قدر عال من العلم ، ومواهبه فى التحدث بلباقة وذكائه الحاد وسعة صدره وتقربه وتعطفه على المساكين ، أستحوذت والدته على المملكة فى بداية عهده ، وأستطاعت أن تدبرها تدبيرا حسنا ، وحدث فى بداية عهده أن أستطاع عماد الدين ذنكى إسترجاع الرها من يد الصليبيين فى أواخر ديسمبر عام ١١٤٤م ، كما فشلت الحملة الصليبية الثانية فى تحقيق أهدافها فى إعادة الإستيلاء على الرها أو تقويض القوات الإسلامية فى شمال الشام والعراق ، وكذلك فشلت فى الإستيلاء على دمشق بعد حصارها لمدة قصيرة فى يوليو عام ١١٤٨م ، وحدث أن ثارت مشكلة الوراثة فى إمارة أنطاكية ألا أنه أستطاع أنهائها بتزويج كونستانس أرملة ريموند دى بواتيه إلى الفارس رينو دى شاتيون (أرناط) ، غلب مجير الدين عامل نور الدين محمود فى دمشق وفرض الجزية عليه ، وأستطاع الإستيلاء على مدينة عسقلان عام ١١٥٣ م ، وأمن الحدود الجنوبية للمملكة الصليبية.

راجع : وليم الصوري : مصدر سابق ، الجزء الثانى ، الكتاب ١٦ – ١٨ .

(٢) ابن ميسر: أخبار مصر، جزاءان، نشر هنرى ماسيه ، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى ، ١٩١٩، جـ٢، ص٩١.؛ المقريزى: مرجع سابق ، جـ١، ص ٣٩٢.

(٣) ابن ميسر: مصدر سابق، جـ٢، ص٩٧.؛ ابن القلانسى: تاريخ أبو يعلى حمزه بن القلانسى المعروف بذيل تاريخ دمشق، بيروت، مطبعة الأباء اليسوعيين،١٩٠٨، ص٣٥٣.

أما المرحلة الثانية فقد بدأت على يد عموري الأول [١] Amalric I ملك بيت المقدس (١١٦٢ – ١١٧٣م) وقد قام بثلاث حملات كبيرة لغزو مصر كانت أولها عام ١١٦٣م/٥٨٨هـ ، منتهزًا فرصة الصراع الذي قام في مصر بين الوزراء الفاطميين وضعف سلطة الخلفاء الفاطميين . فوصل جيش عموري إلي الفرما واستولي عليها ثم اتجه إلي بلبيس[٢] وحاصرها ، لكنه لم يتمكن منها بسبب قيام الوزير الفاطمي ضرغام[٣] بقطع بعض جسور النيل أمام بلبيس ، وكان وقت فيضان النيل ففاضت المياه وأغرقت المعسكر الصليبي ، فاضطر

---

(١) عمورى الأول : رابع ملك على بيت المقدس بعد جودفرى ، وهو أخو بلدوين الثالث، حصل فى حياة أخيه على كونتية يافا وعسقلان ، ثم خلفه على عرش المملكة ، كان ذو خبرة فى الشئون الأدارية والقانونية والحربية ويملك ذكاء وقاد ، ويتصف بالشجاعة والأقدام والصبر ، وكان يحب المال حبا جما حتى كان يتزرع بأتفه الأسباب للأستيلاء عليه من أيد الناس ، وفى عصره ضيق على الكنائس وممتلكاتها ، وقام بعدة حملات على مصر كان أولها فى عام ١١٦٣ م بسبب أن المصريين رفضوا دفع الجزية التى أتفقوا عليها مع أخيه من قبله ، وتحالف مع الأمبراطور البيزنطى مانويل كومنين فى تحقيق هذا الغرض ، ولكن جميع حملاته باءت بالفشل ، كما نشط نور الدين زنكى فى مهاجمة الممتلكات الصليبية بالشام فى عهده ، وأيضا شهد المحاولات الأولى لصلاح الدين الأيوبى فى توحيد الجبهة الأسلامية ومحاربة الصليبيين .

وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٤، الكتاب التاسع عشر والعشرين .

(٢) بلبيس : مدينة مصرية قديمة ، سميت فى العصر القبطى Becok ، وأسمها اليونان Biblos ، وسميت فى التوراه أرض جاسان ، وفيها أستقبل سيدنا يوسف أبيه سيدنا يعقوب وأسكنه فيها ، وهى واقعة على طريق مصر من الناحية الشرقية ، لذلك أستقبلت العديد من الهجرات على مصر على مر التاريخ ومنها الهكسوس واليهود والعرب والصليبيين ، كانت فى العصر الأسلامى مدينة مزدهرة وفيها قصور ونخيل وبساتين وأهلها من أهل اليسار، وهى الأن تابعة لأقليم الشرقية ، وتبعد عن مدينة الزقازيق عشرون كم من ناحية الشمال .

راجع : المقريزى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٣٩٣ – ٣٤٠ . ؛ على باشا مبارك : مرجع سابق ، جـ٩ ، ص ١٨٦ – ١٩٠.

(١) ضرغام : أحد الوزراء العظام فى العصر الفاطمى الثانى ، وتقلد الوزارة فى عهد الخليفة العاضد فى رمضان عام ٥٥٨ هـ ، لقب بالملك المنصور ، أستطاع مواجهة حملة عمورى الأول على مصر عام ١١٦٣م بفتح سدود النيل أمامه، فأضطر عمورى للأنسحاب من مصر، وفشلت حملته، أشتدد فى محاربة شاور الوزير الفاطمى الذى طمع فى السلطة وأستطاع هزيمته وقتل أبنه طيء، فأستنجد شاور بنور الدين محمود الذى أمده بقوات على رأسها أسد الدين شيركوه ، ودارت حرب بينهما فى القاهرة ، وأستطاع ضرغام الأنتصار فيها إلا أنه أصيب بسهم قضى عليه، وهو ما دفع شاور إلى أسترداد سلطته فى مصر ، وبعد ذلك رفض شيركوه طلب شاور بالخروج عن مصر الأمر الذى دفع الوزير إلى الإستنجاد بالملك الصليبى ضده.

أنظر:وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٤، الكتاب التاسع عشر، فصل ٥، ٧.؛ عطية القوصى: تاريخ مصر الأسلامية من الفتح العربى حتى الفتح العثمانى، القاهرة: دار الثقافة العربية ،١٩٩٧، ص ١٧٦– ١٧٨.

عموري للإنسحاب والعودة من حيث أتي مغلوبًا مدحورًا[١]. وهذه أول دلالة قوية على الدور الذي يلعبه نهر النيل وجسوره في الدفاع عن مصر ضد الحملات الصليبية ، ولم يكن لـــه أن يلعب هذا الدور وحده بل بفضل حكمة وتدبير الحكام المصريين .

ولكن عموري لم ييأس بل قام بحملات أخـــري ضـــد مـــصر في أعـــوام ١١٦٤م / ٥٥٩هـــ، ١١٦٧م/٥٦٢هـــ ، ١١٦٨م / ٥٦٤هـــ لكن نصيبه كان الفشل[٢]. وبعـــدها أخذ يتصل بالامبراطور البيزنطي مانويل كومنين [٣] Manuel I (١١٤٣-١١٨٠م) وزين له غزو مصر ، وأتفق معه على مشروع الغزو[٤]. وفي الوقت نفسه أخذ يـــستنجد بـــالغرب الأوروبي لمساعدته في مشروعه ، وأخذ يهيأ الأمر له[٥]. وكانت الخطة الصليبية البيزنطية هى القيام بغزو مدينة دمياط برا وبحرا ويتخذونها سبيلا للإستيلاء على مصر ، وتنفيذا لذلك يقوم الإسطول البيزنطى بحصارها بحرا ويقوم الجيش الصليبى بحصارها برا فيسهل عليهم بعد ذلـــك الإستيلاء عليها [٦].

ويمكن القول بأن هذه الحملة اختارت دمياط بسبب قربها من صليبي الشام ، فـــضلاً على أنها من المدن الرئيسية الهامة في مصر وأن سقوطها في أيديهم يسهل عليهم الاستيلاء علي مصر كلها . وكانت دمياط في هذا العصر تقع شمال دمياط الحالية ، وموضعها حول جامع ابن المعاطي القديم وقبة فاتح الأسمر وقرافة دمياط ، وتبعد حوالي ميلين من البحر المتوسط ، علـــى الضفة الشرقية لفرع النيل[٧]. كما كانت مدينة محصنة جدًا ، وموقعها الطبيعي قد أكـــسبها

---

(١) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـــ٤، الكتاب ١٩، فصل ٥.

(٢) راجع : محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ٥١- ٥٩.

(٣) الأمبراطور مانويل كومنين : .

(٤) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـــ٤ ، الكتاب ٢٠، فصل ١، ٤.
راجع : سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، ص٦٧٢- ٦٧٣.

(٥) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـــ٤ ، الكتاب ٢٠، فصل١٢ ، ٢٢.

(٦) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـــ٤ ، الكتاب ٢٠، فصل١٤ ، ١٥.
محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص٦١.

(٧) محمد مصطفى ذيادة : مرجع سابق ، ص ٤٥ ، حاشية ١.،
=Setton, K.M., A History of The Crusades,2 vol.,Pennsylvania, 1950 -1952. ,vol.2 ,p.397 .

حصانة طبيعية كبيرة ، ويلاحظ أنها تعد كشبه جزيرة إذ يحدها البحر المتوسط شمالاً ونهر النيل غربًا وبحيرة تنيس شرقًا . أما الناحية الجنوبية فتتصل باليابس . وهناك على الجانب الغربي الذي يحيط به النيل تقوم حصانة كبيرة تتمثل في برج السلسة الذي يقع وسط النيل في هذا الجانب ، ويقع مقابل له على اليابس برج ثان من أبراج المدينة وتمتد بين هذان البرجان سلسلة حديدية ضخمة تزن حوالي مائة وثلاثين قنطارًا مصريًا أي ما يساوي حوالي ١١٥٧١ كيلو جرام . وكان الرجال القائمون على البرجين يتحكمون في حركة مرور السفن في النيل عن طريق هذه السلسلة . وكان هذا البرج أقرب من الناحية الغربية للنيل من الناحية الشرقية ، ويتصف بشدة المتانة والمناعة . وكان من الحجارة ، ويتكون من عدة طوابق ويعد الطابق الذي في الوسط الطابق الرئيسي لهذا البرج ، ويعلو البرج قبة ذات ثلاثة أقواس صغيرة . وفي أسفل البرج توجد السلسلة . ومن الطبيعي أن يقوم على حراسته رجال أكفاء وأشداء مزودون بالسلاح . ونظرًا لأهميته وشدة مناعته أطلق عليها المؤرخون قفل دمياط ، أو قفل الديار المصرية . ويرد عند بعض المؤرخون أنه كان يوجد برج آخر على الضفة الغربية للنيل شبيه بهذا البرج ويتصل بسلسلة من البرج الرئيسي القائم وسط النيل ، وعندما تُغلق السلسلتان تمنع المراكب من الدخول أو الخروج من النيل . فكل هذه التحصينات بالإضافة إلي التحصينات الأخري مثل الأسوار والأبراج الأخري والقلعة والخندق الذي كان يحيط بها من ناحية الجنوب عملت على شدة مناعتها. وبجانب هذا عمل نهر النيل على جذب أنظار الصليبيين إليها إذ أن قربها منه ووقوعها عليه أكسبها مساحات واسعة من المراعي الخضراء والحدائق والحقول ، كما أن النيل يمدها بكميات كبيرة من المياه العذبة كبيرة ، ويحمل أيضًا في جسوره وقنواته إليها كميات كبيرة من الأسماك، فلهذه الأسباب مجتمعة وضعها الصليبيين وسيلة وهدفًا في حملتهم ضد مصر[1].

ولمزيد من التفاصيل حول موقع دمياط راجع :

المقريزى: الخطط ، جـ١، ص٣٩٤.؛ على باشا مبارك: مرجع سابق، جـ١١، ص ٩١.

(١) جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩، ص ٨٩، ٩٤ .؛ محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص٢٠٠-٢٠٧.؛ بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، الأسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨. ، ص١٦٤- ١٦٩.

وما لبث الملك الصليبى أن أستقبل أسطولا بيزنطيا يتكون من مائة وخمسين سفينة من نوع الشواني[١] تنقل جنودا ، وستون سفينة تنقل جياد وأسلحة ومعدات الحرب ، وحوالى عشرة أو عشرون سفينة أخرى تنقل المؤن والسلاح [٢] ، وبعد أن قام عمورى باعداد الترتيبات اللازمة لحملته قام بالهجوم على مصر واستطاع عموري الاستيلاء على الفرما في التاسع من محرم عام ٥٦٦هـ/٢٥ أغسطس ١١٦٩م ، ومنها اتجه نحو دمياط فوصلها بعد يومين ، وأقام معسكره في الناحية الجنوبية منها وبدأ في حصارها في الحال ، أما الأسطول فدخل من النيل على فرع دمياط ولكنه لم يتقدم كثيرًا فيه إذ توقف أمام برج السلسلة الذي منعه من محاصرة دمياط من جانبها الغربي ، وظلت السفن الصليبية والبيزنطية بعيدة عن المدينة[٣].

وكان حاكم مصر في هذا الوقت هو صلاح الدين الأيوبي ، فعلم بحصار الصليبيين والبيزنطيين لدمياط فأرسل إليها الرجال والسلاح والمؤن ، وجهز عددًا كبير من السفن التي اتخذت طريقها إلي الشمال في فرع دمياط لنجدة المدينة[٤]، كما قام برج السلسلة بدوره فى صد الصليبيين من ناحية الغرب ، وفى نفس الوقت عانت القوات الصليبية من قلة الأقوات إذ

---

(٢) الشوانى : جمع شينى أو شينية ، وهى من السفن القديمة التى كانت مستخدمة فى الأسطول الرومانى ، وزادت أهميتها فى العصور الوسطى عند الشرق = =والغرب ، وهى نوع من السفن الحربية الكبيرة كانوا يقيمون فيها أبراجا وقلاعا للدفاع والهجوم ، ويبلغ متوسط ماعليها مائة وخمسون رجلا ، ولها مائة مجداف . وتعد من أهم القطع التى يتألف منها الأسطول الإسلامى .راجع :

ابن مماتى : قوانين الدواوين ، جمعه ونشره وعلق عليه عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، طبعة الجمعية الزراعية ، ١٩٤٣، ص٣٤٠ .؛ وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٤ ، الكتاب ٢٠، فصل 14. ؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص ١١٣، حاشية ٤ . ؛ محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٢٣٦ حاشية ٣ .

(3) Fabri, Felix, The Book Of Wandering,(1480 – 1483) 2 vol., 4 part, trans. By Aubrey Stewart,London ,1893.vol.2, part,I, p329.

(٤) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٤ ، الكتاب ٢٠، فصل ١٥.

(١) أبو شامة :كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزءان فى مجلد واحد ، القاهرة ، مطبعة وادى النيل ، ١٢٨٧-١٢٨٨هـ ، جـ١ ، ص ١٨١.؛ وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٤ ، الكتاب ٢٠، فصل ١٥.

تعرض الأسطول لخطر مجاعة كادت أن تهلك جنوده الأمر الذي دفعهم إلى التغذي على لحاء النخل [١].

كما كان للظروف الطبيعية دورا هاما فى فشل هذه الحملة إذ حدث أن هبت رياح شديدة عليه وأخذ فيضان النيل فى الزيادة السريعة ، فاغتنم المصريين الفرصة وأخذوا قاربا وملؤوه بالأخشاب والقار وأشعلوا النار فيه ثم دفعوه فى النهر فحملته الرياح وزيادة الماء شمالا حتى وصل إلى أسطول الصليبيين وأصطدم به مما أدى إلى اشتعال النيران بالسفن وأحراق ستة منها ، وكادت السفن كلها تهلك الا أن الصليبيين أستطاعوا إخماد النيران بعد مجهود شاق . اضافة إلى ما سلف فقد قامت العواصف وأشتدت على المعسكر الصليبى ، وصاحبها سقوط أمطار غزيرة سببت خسائر جسيمة لهم. وعندما تيقنوا من الفشل انسحبوا من الحصار في الحادي والعشرين من ربيع الأول عام ١٦/٥٦٥ ديسمبر ١١٦٩م؛ ورجعوا إلي بلادهم [٢].

وبعد هذه الحملة استمر الصليبيون والبيزنطيون وشاركهم الصقليون في القيام بغزوات على مصر والإغارة على المدن الساحلية والقريبة منهم مثل العريش والفرما وتنيس والأسكندرية والقيام بأعمال السلب والنهب والحرق[٣]. كما نجد أن ملك أنجلترا ريتشارد

---

(2) Jacque de Vitry, op, cit ,p.26.

(٣) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٤ ، الكتاب ٢٠، فصل 16.

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة وفشلها فى الإستيلاء على مصر راجع:

Nicetas Choniates, Historia , in Corpus Soriptorum Historiae Byzantinae ,Bonn,1835. pp.208-210.

وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٤ ، الكتاب ٢١، فصل ١٤-١٧. ؛ محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ٦٠ – ٦٣.

(٤) ابن شداد : سيرة صلاح الدين الأيوبى ، القاهرة – طرابلس – لندن : دار الفرجانى ، ١٩٨٨، ص ٣٧. ؛ أبو شامة : مصدر سابق ،جـ١، ص ٢٣٤.، ابن الأثير : = =الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء، ليدن ، ١٨٥٣ ، =جـ١١، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣. ؛ ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ٤ جزء ، جـ١ ،٢ ،٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ،١٩٦٠. ، جـ٤، تحقيق حسنين ربيع ، القاهرة ، دار الكتب، ١٩٧٢، جـ٢ ، ص ١٤.

Runciman , op. cit .,II, pp.408- 409.;Grousset,R., Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3 vol., Paris,1936. vol.II,pp.594-597.

سعيد عاشور : مرجع سابق ، ص ٧٠٥-٧٠٨ ، ٧٢٦.؛ محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص٦٤- ٧٣.

قلب الأسد[١] (١١٨٩ - ١١٩٩م) **Richard The Lion Heart** يؤمن بضرورة غزو مصر ويري أنه لا سبيل لإستعادة بيت المقدس بعد أن أعادها صلاح الدين عقب معركة حطين إلا بالإستيلاء على مصر ، ولذلك أخذ يراسل الجنوية ويخطط معهم لهجوم مباشر على مصر فى صيف عام ١١٩٢م / ٥٨٨هـ ، ولكنه لم يستطع تنفيذ هذا المشروع[٢]. ولم تتوقف محاولات الصليبيين في هذا الصدد إذ خرجت الحملة الصليبية الرابعة في عام ١٢٠٤م/٦٠٠هـ وكان هدفها الإستيلاء على مصر، لكنها انحرفت عن هدفها واتجهت نحو القسطنطينية واستولت عليها ، وأسست بها إمارة لاتينية . وأستمر الوضع هكذا حتي قيام الحملة الصليبية الخامسة عام ١٢١٨م/ ٦١٥هـ [٣] .

وقرر صليبى الحملة الخامسة أن تسلك الحملة طريق البحر وتكون وجهتها الأولي مدينة دمياط ، واعتبروها أنسب المواقع للهجوم على مصر كلها ، وقد وقع إختيارهم عليها لأهميتها

---

(١) الملك ريتشارد قلب الأسد : من نسل الملوك النرمان الذى يمتد حتى وليم الفاتح فى إنجلترا ، ولد فى عام ١١٥٧م تقريبا ، تعلم فنون الفروسية فى شبابه ، وعهد إليه أبيه هنرى الثانى بولاية بواتو ، ثم خلف والده فى حكم أنجلترا فى عام ١١٨٩م . وأستجاب لدعوات البابوية وخرج على رأس حملة صليبية إلى الشرق لإعادة الإستيلاء على بيت المقدس بعد أن أعادها صلاح الدين للمسلمين بعد موقعة حطين ، وفى طريقه للشرق أستقر بقبرس بعض الوقت وحارب القبارصة وأخضع الجزيرة لحكمه ، وفى الشرق لم يحرز نصرا كبيرا على المسلمين ما خلا تمكنه من أسقاط مدينة عكا عام ١١٩٢م ، أشتبك مع صلاح الدين الأيوبى فى معارك كثيرة ، ودارت بينهما مفاوضات عديدة كان آخرها صلح الرملة الذى خيب أمال الصليبين فى هذا الوقت ، وفى طريق عودته إلى بلاده وقع فى أسر ليوبولد الخامس دوق النمسا ، ثم دفع فدية كبيرة وتحرر من الأسر ورجع الى بلاده ، ومات عام ١١٩٩م.

راجع : مؤلف مجهول : الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ، ٢ جزء ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠، جـ١ ، الكتاب الثانى ، جـ٢ ، الكتاب ٣ – ٦ .؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق، جـ٢ ، ص ٨٣٦ – ٨٦٤.

(2) Heyd, W., Histoire de Commerce de Levant au Moyen Age, 2 vol.,Leipzig,1185-1186, vol.I,p.400.; Grousset, op.cit., III, p.171.

محمد مصطفى زيادة: المرجع السابق، ص٣٥.؛ محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة، ٧٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سابق، جـ٢، ص٨٩٢.

(٣) راجع :

Brehier,L., L`Eglise et L` Orient au Moyen Age,Paris,1928,p.151.= سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٦٩٤، ٦٩٥، ٧٠٤ – ٧٠٨، ٧٢٦، ٧٢٧، ٨٩٢ – ٨٩٤ ، ٩٠٥، ٩٢٠ – ٩٢٣ ؛ محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ٦٤ – ٧٥ .

التى سبق ذكرها[١] ، ولأنهم إختبروها من قبل ، إذ سبق لهم مهاجمتها عدة مرات ، كما أن الطريق البحري أكثر أمنًا من الطريق البري ، وتتيح لهم الوصول بسرعة وهم محتفظين بكافة أفرادهم وعدتهم وأسلحتهم ، ولأنها أقرب إلي مراكزهم ومناطق امدادهم بالشام ، كما أنها أحد الثلاث مدن الرئيسية في مصر بالإضافة إلي الإسكندرية والقاهرة، وإذا سقطت واحدة منها سقطت مصر كلها ، وكانوا ينظرون إليها باعتبارها قفل الديار المصرية . كما أنه عن طريقها يمكن الوصول إلي القاهرة عاصمة مصر[٢].

وبالفعل أطلقت إشارة البدء في سير الحملة من قلعة الحجاج بالقرب من عكا وانطلق شطر كبير من القوات الصليبية في البحر ، وبلغوا دمياط واستطاعوا دخول فرع دمياط من النقطة التي تقع عند مصبه على البحر المتوسط بسهولة ويسر، وساعدهم على ذلك إتساع فم النيل عند مدخل فرع دمياط . وانزلوا قواتهم بجيزة دمياط في التاسع والعشرين من مايو ٢/١٢١٨ ربيع أول ٦١٥هـ [٣]. وقد اختاروا هذا المكان للرسو والإقامة فيه لأنه يقع على الضفة الغربية لفرع دمياط قبالة مدينة دمياط . وكان إختيارهم لهذا الموقع موفقًا للغاية لأنه يعد شبه جزيرة ، ويتخذ شكلاً مثلثًا ضلعه الشمالي البحر المتوسط وضلعه الشرقي نهر النيل وضلعه الغربي خليج قديم يعرف باسم الخليج الأزرق وتعتبر تلك المنطقة من الوجهة العسكرية منطقة محصنة تحصينًا طبيعيًا[٤]. وبلغ عدد القوات الصليبية في جيزة دمياط نحو أربعين ألف جندي[٥].

---

(١) راجع ماسبق ، ص ٩، ١٠.

(2) Oliver of Podenborn, op,cit,pp.22,47.; Roger of Wendover, op, cit, II,p.407.

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص١٩٨ – ٢٠٢.، سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، جـ٢، ص ٩٢٤.

(3) Oliver of Podenborn, op,cit,pp.22, 23.

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص٢٠٨ ، ٢٠٩.

(١) محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ،ص ٢١٠ .

(2) Campbell,G., The Crusades,London , 1935. p283.

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٢١١ .

وحين عرف الملك الكامل[١] (٦١٥ - ٦٣٥ هـ/ ١٢١٨ -١٢٣٨م) بوصول الصليبيين أمام جيزة دمياط عمل على تجهيز قواته ، وطلب النجدة من والده الملك العادل[٢] (٥٩٦ –٦١٥هـ/ ١١٩٩– ١٢١٨م) واخوته في الشام، فعمل هؤلاء الملوك على إرسال النجدة إلي الملك الكامل ، ومهاجمة أملاك الصليبيين في الشام وذلك للضغط على الصليبيين بمصر وصرف نظرهم عنها[٣].

وفي نفس الوقت أرسل الكامل قوات ومؤن وأسلحة كثيرة إلي دمياط ، وسار على رأس قواته إليها واستقر جنوبها في موقع يسمي العادلية[٤]، وأخذ يتنقل بين دمياط والعادلية

---

(٣) الملك الكامل : ولد فى عام ٥٧٦ هـ ، وأخوته المعظم عيسى صاحب دمشق والأشرف موسى صاحب حران ووتربى تربية دينية تقية ودرس الفقه والحديث وعلوم السنة والأدب والشعر ، تولى حكم مصر لمدة أربعون عاما قضى نصفها فى حياة أبيه ونصفها الأخر بعد وفاة العادل ، أستطاع توسيع رقعة دولته التى أمتدت حتى حران والرها وسروج والرقة وأمد وبلاد الشام والحجاز واليمن ، واجه الحملة الصليبية الخامسة وأنتصر عليها ، وكان له صداقة بالأمبراطور الفرنسى فردريك الثانى المحب للعرب ، وتنازل له عن بيت المقدس بدون حروب ، توفى فى دمشق عام ٥٣٥ هـ .
راجع : أحمد مختار العبادى : فى التاريخ الأيوبى والمملوكى ، الأسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٢، ٧٥ – ٨٠ .

(٤) الملك العادل : هو محمد بن أيوب بن شادي، أبو بكر، خدم مع عمه شيركوه وأخوه صلاح الدين فى جيش نور الدين محمود ، وجاهد معهم ضد الصليبيين ، ودخل مصر معهم بعد أستنجاد الوزير الفاطمى شاور بهم أثناء حربه ضد ضرغام ،وبعد أن أستتب حكم مصر لأخيه صلاح الدين عينه نائب السلطنة بمصر أثناء غيبته في الشام. ثم ولاه مدينة حلب سنة ٥٧٩هـ، فأقام بها قليلاً، ثم انتقل إلى الكرك غيرها من الولايات إلى أن استقل بمُلك مصر سنة ٥٩٦هـ، وضم إليها الديار الشامية، ثم ملك أرمينيا سنة ٦٠٤هـ، وبلاد اليمن سنة ٦١٢هـ، وعندما وطد حكمه قسم البلاد بين أولاده، وأخذ يتنقل من ولاية إلى أخرى، يقضي الصيف بالشام ويقضي الشتاء بمصر، لأن مرضًا كان يعتريه زمن الشتاء. قضى على المحرمات والخمور والحفلات الماجنة في مملكته. وكان كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه صلاح الدين. حضر معه مواقعه كلها أو معظمها في مقاتلة الفرنج. ولعب دور كبير فى الحملة الصليبية الثالثة ، فكان يتولى المفاوضات عن الجانب الأسلامى فيها ، توفي وهو يجهز جيشًا لقتال الصليبيين فى الحملة الخامسة بعد إستيلائهم على دمياط ، وكتم ولده المعظم خبر موته، وحمله على أنه مريض، وأدخله قلعة دمشق، ودفن في مدرسته المعروفة إلى اليوم بالعادلية.
راجع : أحمد مختار العبادى : مرجع سابق ، ص٧٢ – ٧٥.

(١) أبو شامة : مصدر سابق ، ص ١٠٨. ؛ ابن واصل : مصدر سابق ، جـ٣ ، ص ٢٦١.؛ ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، المجلد الثامن ، ق ١ ، ٢ ، حيدر أباد ، ١٣٧٢هـ /١٩٥١م ، ق٢ ، ص ٥٩٢.

(٢) العادلية : مدينة أسسها الملك العادل وسميت بأسمه وتقع على الضفة الشرقية للنيل مقابل جيزة دمياط وجنوب دمياط وهى الأن مركز من مراكزها، أستقرت بها جيوش الملك الكامل بعض الوقت فى الحملة الصليبية الخامسة.

لتدبير أمور الحرب ، وكان يعمل بكل جهده في عدم تمكين الصليبيين من العبور إلي الـضفة الشرقية للنيل وإبعادهم عن برج السلسلة الذي يقع وسط النيل قبالة دمياط ، ويلعـب دور كبير في الدفاع عنها ، كما أستعد أهل دمياط للحصار بتخزين كميات كبيرة القمح والدقيق والأرز وكافة المؤن الأخرى [١].

وما أن هبط الصليبيين على أرض جيزة دمياط حتي بدأوا في السير برا وبحرا ، وبلغوا برج السلسلة الذي أعاقهم في التقدم في النيل وسد أمامهم الطريق لمحاصرة دمياط ، وأدركوا أنهم أمام أحد الإستحكامات القوية في نهر النيل ، وأدركوا أنه لا سبيل أمامهم لمحاصرة دمياط والاستيلاء عليها والتقدم في النيل والبلوغ إلي القاهرة إلا بمحاصرة هذا البرج والإستيلاء عليه أولاً[٢].

لذا قام الصليبيون بتجهيز المنجنيقات وأسلحة القتال وأخذوا يضربون بها البرج والمدينة ضربا متواصلا ، وذلك بهدف الإستيلاء على البرج ، وفي نفس الوقت لشغل المدينة عن إنجاد البرج ، وظلت الأحجار تتساقط على المدينة ليلاً ونهارًا وتسببت في قتل وجـرح الكـثيرين. ورغم هذا ظلت المدينة والبرج يقاومان الهجوم بشدة [٣].

وبالرغم من فشل جميع المحاولات الصليبية المستمرة في الاستيلاء على البرج والمدينة إلا أنهم أخذوا يعدون أنفسهم للقيام بمحاولات أخري، وفي هذه المرة رأوا أن يقومـوا بهجـوم مكثف وبتركيز أدق على البرج دون المدينة، وأشار أحد قادتهم وهو المؤرخ الـصليبي لهـذه الحملة أوليفر أف بادنبورن **Oliver of Padenborn** إلي فكرة جديدة تتمثل في وضع بطستين جنبًا إلي جنب وربطهما معًا بعروق من الخشب حول محيطهما وبذلك تصبح البطستين

سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٩٢٥.

(3) L` Histoire des Patriarches d` Alexandria,trans., Blochet, in Revue de L` Orient Latin, vol. XL,Paris1908, pp. 210- 260, p.140 .

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ص ٢١١. ؛ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٣، ص ٢٦٠.

(4) Roger of Wendover, op,cit,II,p.401.; Oliver of Podenborn, op, cit, pp.24.

سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، ص ٩٢٥.

(1) Roger of Wendover, op,cit,II,pp.407- 409.

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٢١٨ .

مثل واحدة ، ثم أقاموا فوقهما أربعة صواري من الخشب ، وشيدوا أعلاها برجًا خشبيًا أيضًا ، وأقاموا حول هذا البرج ستائر خشبية لحمايته ، ووضعوا فوق البرج سلمًا متحركًا ينخفض ويرتفع عن طريق عجلة معدنية ، وثبتوا فوق البرج أحد المنجنيقات ، وغلقوا البطستان بالنحاس الأحمر وجلود الحيوانات حتي لا تتأثر بالنار الاغريقية . وبذلك أصبحت البطستان كالقلعة العائمة [١]. وجرت معركة حامية بين الصليبيين وحامية البرج ونجح الصليبيون فى الاستيلاء على البرج في الرابع والعشرين من أغسطس ١٢١٨م (٢٩ جمادي الأولي ٦١٥هـ)، واستولوا على كل ما وجدوه بداخله من السلاح والمؤن والعتاد وكان شيئًا كثيرًا، وحطموا سلسلة البرج وتمكنوا من تسيير مراكبهم في النيل ، وأغلقوا باب البرج الذي يواجه المدينة ، وفتحوا بابًا آخر مقابل لمعسكرهم في الضفة الغربية للنيل وشيدوا جسرًا من السفن ليصل بين معسكرهم والبرج ، وحطموا الجسر العائم الذي كان يصل بين البرج والمدينة، وزودوا البرج بحامية كبيرة وبكل أدوات القتال[٢].

ولما وصلت أنباء هذه الكارثة إلي الملك العادل في الشام كان لها وقع اليم عليه، إذ أنه أصيب بالحزن الشديد ، وسقط صريع المرض، وما لبث أن توفي في السابع من جمادي الآخر عام ٦١٥هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٢١٨م[٣]. وخلف الكامل والده العادل في حكم مصر ووقع عليه العبء الأكبر في الدفاع عنها وطرد المعتدين الصليبيين منها، وحلف الناس له، وخطب له على المنابر ، وضربت السكة باسمه[٤]. ويضاف إلي كارثة موت العادل كارثة أخري تتعلق بأحد العوامل الطبيعية ، وهي أن نهر النيل قلت مياهه في هذا العام، وضعف فيضانه مما

---

(2) Hist.Pat. Alex., p.242,243.; Roger of Wendover, op, cit, II, p.408.; Setton , op ,cit , II, p.399,400.

ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ١٢ ، ص ٢١١

(3) Oliver of Podenborn. pp.27- 28.; Hist.Pat. Alex.,p.243.; Roger of Wendover, op, cit , II, p. 409, 410.

سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، ص ٩٢٥ ، ٩٢٦.

ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ١٢ ، ص ٢١١. ؛ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٦١.

(١) ابن الأثير : مصدر سابق جـ١٢، ص٢٣٩. ؛ ابن الجوزي: مصدر سابق ، جـ٨، ص٥٩٣ .

Oliver of Podenborn, op,cit,pp.30-31.; Roger of Wendover, op, cit, II, p. 410.

(2) Hist. Patr. Alex. P. 243.; Oliver of Podenborn, op, cit, p.31.

تسبب في إفساد وقلة المحاصيل الزراعية ، وغلائها ، فإجتمعت هذه الكوارث على الأمة في وقت واحد وهي الغلاء وموت السلطان العادل ووجود الصليبيين في الأراضي المصرية الأمر الذي تسبب في إنحطاط الروح المعنوية للشعب المصري بصفة عامة وللجنود والملك الكامل بصفة خاصة[١] .

وأول ما فعله الكامل في الجهاد ضد الصليبيين بعد استيلائهم على برج السلسلة أنه أقام جسر كبير بعرض مجري نهر النيل ، وقد أقيم هذا الجسر خلف برج السلسلة ، وبالقرب من المعسكر الصليبي في الضفة الغربية ، وبالتحديد بين برج دمياط على الضفة الشرقية للنيل التي يقع عليها البرج وبين برج السلسلة الذي يتصل به النيل ، وذلك ليكون عوضًا عن السلاسل التي تحكم فيها الصليبيين عند استيلائهم على برج السلسلة ، وحتي يقوم هذا الجسر بنفس الدور الذي كان يقوم به برج السلسلة في منع تقدم الصليبيين في النيل ، ولكن لم يصمد هذا الجسر طويلاً إذ أن الصليبيين قاتلوا عليه قتالاً شديدًا ومتواصلاً حتي تمكنوا من تحطيمه ، فتمت لهم السيطرة على مجري النيل مرة أخرى[٢].

ومنذ أن صنع المسلمون الجسر الأول على النيل عقب سقوط برج دمياط والصليبيين، يبحثوا عن طريق آخر يمكنهم من الوصول إلى دمياط ويجعلهم يتخطون عقبة هذا الجسر، ونظروا في موقعهم علي جيزة دمياط جيداً فوجدوا ضالتهم في الخليج الأزرق[٣] الذي يقع في

---

(3) Hist. Patr. Alex., pp. 243,244.

(4) Ibid.,p. Alex.,245.

ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ٢، ص٢١١ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٩٣.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، ص ٩٢٦.

(١) لهذا الخليج تسمية أخرى ذكرها مؤلف كتاب تاريخ البطاركة الذى يعد أهم مصدر عربى عن الحملة الخامسة وهذه التسمية هى خليج الزعفران.

وسمى هكذا لقربه من منطقة الزعفران التى سميت بهذا الأسم لأنها المنطقة الوحيدة فى مصر التى كان يجود فيها زراعة نبات الزعفران وبعض أنواع النباتات العطرية الأخرى، وكانت تسمى أيضا وادى السيسبان وهو الأسم اليونانى واللاتينى للزعفران، وكانت فى العصرين الرومانى والقبطى تتبع إقليم البرلس الذى يقع فى شمال الدلتا. وسميت هذه المنطقة بالبرارى أيضا ، وذلك لأن أجزاء كثيرة منها كان ينخفض سطحها عن مستوى الأراضى المجاورة لها ، وكانت تغمرها المياه فى فصل الشتاء ووقت الفيضان وخاصة الأجزاء الشمالية منها ، كما كانت بعض أراضيها بور غير صالحة للزراعة . وهى الأن تتبع مركز بلقاس بمحافظة الدقهلية.

غرب معسكرهم بجيزة دمياط ، ويصل البحر المتوسط بنهر النيل جنوبي جيزة دمياط عند محلة بورة[١]، وقاموا بمجهودات كبيرة في تعميق مجرى هذا الخليج حتى تسير فيه السفن الصليبية ويكون حاجزاً مائياً منيعاً ضد أي هجوم يقوم به الجيش الإسلامي علي معسكرهم ، وعند قدوم فصل الشتاء وبالتحديد في ليلة التاسع من شهر رمضان ٦١٥هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٢١٨م حيث هبت رياح شديدة وتساقطت أمطار غزيرة عملت على ملئ الخليج الأزرق بالماء، وأخذ الصليبيون يحملون سفنهم على ظهور الدواب ويطرحونها في البحر ومنه تسير المراكب في الخليج [٢].

ولكن السلطان لم يقف مكتوف الأيدي إزاء تمكن الصليبيين من تمرير سفنهم في الخليج ووصولهم بورة فأمر بسد مجرى النهر عند بورة بإغراق عدد كبير من السفن فيه حيث شكلت هذه السفن ثلاثة صفوف متجاورة بعرض النهر، وعليها صواريها العالية التي تزيد من إعاقة السفن الصليبية في المرور في النهر حتي تكون عوضًا عن السلسلة الحديدية وعن الجسر وكانت هذه السفن تسد مجرى النهر بقوة، ومع أن هذه المحاولة نجحت إلى بعض الوقت، وأعادت للمسلمين السيطرة مرة أخرى على مجرى نهر النيل . إلا أن السفن الصليبية أستطاعت تدمير هذا الجسر وأصبح الطريق مفتوحاً أمامها في النيل وإلى مدينة دمياط[٣].

راجع : **His. Patr. Alex., 244.**

محمد رمزى : مرجع سابق ، ق ١، ص ٢٢.؛ على باشا مبارك: مرجع سابق ، جـ٩ ، ص ٨٣ – ٨٦.؛ ٢٠٨ – ٢١١.

(٢) بورة : من القرى المصرية القديمة ، وتقع على الجانب الغربى للنيل فرع دمياط فى مقابل قرية العادلية التى تقع على الجانب الشرقى منه ، وقريبة من البحر المتوسط ، وكانت تتصل بالبحر عن طريق الخليج الأزرق ، وقد أشتهرت بصيد سمك البورى لذلك سميت به ، وأشتهرت أيضا بصناعة الأقمشة الجيدة . وزراعة كثير من انواع الفاكهة . ويقع مكانها اليوم القرية المعروفة بأسم كفر البطيخ أحدى قرى مركز شربين بمديرية الغربية ، وتبعد نحو سبعة كيلو متر جنوبى مدينة دمياط ، وسميت كذلك نتيجة أشتهارها بزراعة صنف البطيخ فى أرضها.

انظر: ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، القاهرة ، بولاق ، ١٨٩٨، ص٦٣. ؛ محمد رمزى : مرجع سابق ، ق١ ، ص ١٧٦-١٧٩.

(3) Hist. Patr. Alex, p. 246.; setton ,op,cit,404.

سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، ص ٩٢٦.

(1) Hist. Patr. Alex, p.246.

غير أن الملك الكامل بعد سقوط برج دمياط بدأ يغير سياسته الحربية من سياسة الدفاع إلى سياسة الهجوم. لذلك أعد لإجراء عملية هجوم شامل بالبر والبحر على الصليبيين وكون جيشاً مكوناً من أربعة آلاف فارس ومثلهم من المشاة، وأعد حوالي خمسين أو ستين سفينة من الشوانى والحراريق[1] في نهر النيل استعداداً للهجوم المنتظر. وفي يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر رجب ٦١٥هـ (٩ أكتوبر١٢١٨م) اقتربت السفن الإسلامية من بورة جنوب المعسكر الصليبي في جيزة دمياط، وتقدم الجيش البري بحذاء النيل حتي اقترب الفرسان من المعسكر الصليبي من ناحية الجنوب، إلا أن وجود الخندق - وكان قد أمتلىء بماء الأمطار - حول المعسكر الصليبي ، في هذه الجهة أعاق تقدم الفرسان المسلمين .

وقد تسببت الرياح الشديدة والمطر الغزير في ليلة التاسع من شهر رمضان ٦١٥هـ (٢٩ نوفمبر ١٢١٨م) في حدوث سلسلة كوارث في المعسكرين الإسلامي والصليبي. ففي المعسكر الصليبي تسببت هذه الموجة الجوية السيئة وشدة الرياح وسرعة جريان الماء في قطع إحدى مراسي مرمات[2] الصليبيين التابعة لفرسان الداوية ودفعت بها إلى الجانب الشرقي لنهر النيل حيث يعسكر المسلمين، وأصبحت قريبة منهم جدا ، وأخذ الجنود المسلمون يهاجمونها بالنار الإغريقية ويقذفونها بالحجارة ويضربونها بالكلاليب الحديدية ، ولكن شجاعة الرجال الصليبيين الذين عليها تصدت لكل هذه المحاولات ، وعندما عجز المسلمون في الإستيلاء عليها

---

(٢) الحراريق : جمع حراقة هى نوع من السفن الحربية يقل حجمها عن الشينى ، كانت تستخدم لحمل الأسلحة والنار الإغريقية والمنجنيق ، وكان بها مرام تلقى منها = =النيران على العدووأستعملت فى العصور الوسطى فى الشرق والغرب ، وأستعملت فى العصور الفاطمية والمملوكية لحمل الملوك والأمراء فى الأستعراضات البحرية والمناسبات الرسمية.

راجع : أبن مماتى : مصدر سابق ، ص٣٤٠ .؛ السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت : دار النهضة ، ١٩٦٩، ص ٣٠٢ ، حاشية ٢.؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق، ص ١١٢، ١١٣.

(١) مرمات : جمع مرمة وهى نوع من السفن الحربية الكبيرة التى شاع أستخدامها فى العصور الوسطى ، وكثر أستخدمها فى الأساطيل الصليبية ، ويظهر أنها من أصل إيطالى، وكانت تزود بالميرة والسلاح وكل أدوات الحرب ، كما كان يبنى فوقها الأبراج الحربية للزحف بها على الأسوار ، وفى بعض الأحيان كانت تغطى بالحديد وتصير مصفحة لا تتأثر بالنيران .

أنظر : سعاد ماهر : مرجع سابق، ص ٣٦٨.؛ محمود سعيد عمران الحملة الخامسة، ص ٢٤١ حاشية ١.

أخذو يسبحون فى النهر وتمكنوا من الوصول إليها ونجحوا فى القفز فوقها وأشتبكوا مع أصحابها الداوية فى معركة حامية أنتهت بحدوث ثقب كبير فى أرضيتها فغرقت بكل ما عليها من المسلمين والصليبيين[١].

ولم تكن هذه المرمة الصليبية هى الوحيدة التى دفعتها الظروف الطبيعية السيئة إلى الهلاك . فقد دفعت مرمة أخرى كانت مصفحة بالحديد، ولا تعمل فيها النار، ومساحتها حوالي خمسمائة ذراع، وهي تشبه القلعة العائمة التي استولي بها الصليبيين علي برج السلسلة، وكانت تلك المرمة مزودة بكافة معدات القتال، فاستولى عليها المسلمون، وقتلوا ما عليها من جنود صليبيين إلا أنه أستطاع جنديين منها الهروب بأن ألقا بأنفسهما فى النيل وأخذوا يسبحون فيه حتى تمكنوا من الوصول إلى معسكرهما على البر الآخر ، الا أن الملك الصليبى وبخهما بشدة على هروبهما وعدم مقدرتهما على الصمود فى المعركة ضد القوات الإسلامية ، ولم يكتف بهذا بل شنقهما معا. وحسب وصف صاحب تاريخ البطاركة أنها كانت مكونة من اجتماع ست بطس كبار، وقد زودها الصليبيين بالأبراج والسلالم التي تستخدم في الحصار، ويضيف أنها عندما وقعت في يد المسلمين لم يستطيعوا إستغلالها وتدبيرها، وخافوا أن يستردها الصليبيين منهم بالقوة فأحرقوها وأغرقوها[٢].

كما عملت هذه الموجة السيئة من الظروف المناخية على فقدان الصليبيين لاسطول من السفن الحربية يتكون من أربعة سفن كبيرة مجهزة ومزوده بالأسلحة والقلاع والأبراج الحربية، وكانت راسية فى مياه البحر وقريبة من دمياط ، وكانت تنتظر صدور أوامر القيادة الصليبية بالتحرك تجاه المدينة ومحاصرتها من جهة البحر ، وكانت هذه السفن تابعة لقوات الفريزيين والألمان التى تتصف بالشجاعة والإقدام والمثابرة على الحصار والتى تمكنت الحملة الصليبية بفضل جهودهم من الإستيلاء على برج السلسلة ، وينضم لهذا الإسطول سفينة أخرى كانت محملة بالمؤن ، كل هذه السفن جرفتها الرياح الشديدة الى الجانب الشرقى من النيل حيث توجد القوات الإسلامية ، فتمكن الجنود المسلمين من الوصول إليها ولكنهم لم يستطيعوا

---

(2) Oliver of Podenborn, op,cit,pp. 32,33.
(3) Hist. Patr. Alex, p. 243, 245 .

المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٩٩.

الأنتفاع بها فقاموا بأحراقها جميعا أمام أعين الصليبيين ، وكانت خسارة جسيمة منى بها الجيش الصليبى بقواته الفريزية والألمانية . كما أدت هذه الموجة السيئة إلى غرق مجموعة أخرى من السفن الصليبية المحملة بالمؤن والأزواد كانت راسية فى الميناء البحرى قبالة دمياط ، وألقت بها فى مياه النهر بعيدا عن المعسكر الصليبى(١).

وفي تلك الأثناء جاءت نجدة للجيش الصليبي عن طريق مدينة عكا وغيرها من الموانئ الصليبية على البحر المتوسط، فأدت هذه الظروف الجوية السيئة إلى إعطاب كل السفن وتكسير بعضها، كما زحف الموج ببعضها الآخر إلى شواطئ غزة والعريش وغيرهما(٢).

ومنه أيضاً أن حدث فى منتصف إحدى هذه الليالى العاصفة عاصفة شديدة أدت إلى دفع مياه البحر والنهر إلى المعسكر الصليبي في جيزة دمياط فأغرقت كثير من الخيام والمؤن ، وقتلت الكثير من الجنود والمرضى والجرحى ، كما تسببت في نفوق عدد كثير من الخيول وتحطيم كثير من الزوارق ، ويبدو أن الإعصار كان شديداً لدرجة أنه دفع بكميات كبيرة من الأسماك داخل المعسكر الصليبي، وأمسك الناس بكثير منها الا أنهم لم يستفيدوا منها إذ كانوا فى حالة شديدة من الإعياء ، وشاهدوا هذه الأسماك ملقاة على الأرض بعض إنحسار المياه. وتسببت أيضا فى جرف كثير من سفن الميرة والأسلحة وتدمير بعضها وإغراقها فى ماء النهر ، وجرف بعضها الأخر إلى الجانب الآخر من النهر حيث استولت عليه العساكر المصرية ، وبالرغم من كثرة الخراب والدمار الذى سببه هذا الفيضان والإعصار الا أن نتائجه كان من الممكن أن تكون أشد قسوة على الحملة الصليبية أن لم يوجد الخليج الذى يقع حول معسكرهم والذي عملوا على تعميقه من قبل لكى يحميهم من هجوم القوات الإسلامية قبل وبعد إستيلائهم على برج دمياط . ورأى المؤرخون الصليبيون المرافقون للحملة والقريبون منها أن هذا الخليج عمل على حماية الحملة كلها فى هذا الوقت. وأعطى للصليبيين فرصة أخرى لمواصلة سير حملتهم ، وبالرغم من ذلك شجعت هذه الكارثة الصليبيين عقب إنحسار المياه على

(1) Oliver of Podenborn, op,cit,pp.31,32.; Roger of Wendover, op , cit ,II,p. 412.413.
(2) Hist. Patr. Alex, p. 243.

عمل حاجز كبير بين البحر ومعسكرهم ، وتم إستخدام كافة مخلفات الكارثة بما فيها حطام السفن ، وجثث الخيول النافقة في إقامة هذا الحاجز[١] .

وفي أعقاب هذه الكارثة حدثت كوارث أخري تمثلت في تفشي الأوبئة والحمي والأمراض الجلدية بين أفراد المعسكر الصليبي ، وفشل أبرع الأطباء فى علاجهم ، كما هاجمت الأمراض السيقان والأرجل والفم واللثة وجعلتهم غير قادرين على مضغ الطعام، وأسود لون جلدهم، وتسببت هذه الأوبئة في موت كثير من الجنود من بينهم روبرت أف كورسون الواعظ الروحي للحملة ، وهو ما أدي إلي ضعف المعسكر الصليبي وسحق الروح القتالية لدي الجنود الصليبيين ، وإصابتهم بالحزن واليأس في تحقيق نصر قريب ، وعمل أيضا على عودة اعداد كبيرة منهم إلى أوطانهم فى غرب أوربا ، أما من لم يمت بهذه الأمراض فى هذا الوقت ما لبث أن تعافى عند حلول فصل الربيع ، بفضل إرتفاع درجة الحرارة [٢].

أما عن تأثير هذه العواصف على المعسكر الإسلامي فكانت سيئة أيضاً. فنجد أن بحيرة تنيس قد طغت على جنوب دمياط بفعل طغيان البحر عليها، وتسببت في إغراق المنطقة الواقعة غربها حيث العادلية[٣] التى بها المعسكر ، وتسببت هذه الموجة في تخريب المنطقة وهلاك عدد كبير من الجنود المسلمين ونفق الكثير من خيولهم ، وضاع من الأموال والأمتعة والمؤن مالا حصر له ، واستمرت هذه الموجة الجوية السيئة لمدة ثمان أيام [٤]. ويرى أحد المؤرخين أن خسارة المسلمين فى هذه الموجة السيئة كانت أقل بكثير من الخسارة التى لحقت بالمعسكر الصليبى ، وربما يرجع ذلك إلى بعد المعسكر الإسلامى عن البحر وعن بحيرة تنيس[٥]. " وكاد

---

(1) Oliver of Podenborn, op,cit,p.32.;Roger of Wendover, op. cit., II, p.412,413.; Runciman, op,cit, III,p.156.

(2) Oliver of Podenborn , op,cit,p.32,33.; Roger of Wendover, op.cit., II, p.,413.

(3) Hist. Patr. Alex, pp.,244,245

(4) Ibid.,p.245.; Stevenson ,W.B., The Crusaders in the East Camberidge ,1907. p . 304.

محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٣.

الجيش الإسلامي يغرق في لجة المياه إلا أنه تدارك الأمر وتراجع إلى فارسكور ، ونصب معسكره هناك " [١].

وفي أوائل فبراير عام ١٢١٩م (أوائل ذي القعدة ٦١٥هـ) بدء الصليبيون يستعدون للهجوم على المسلمين، وأعدوا ست سفن وثبتوها مع بعضها في شكل ثلاث صفوف متوازية ، ثم ثبتوا عليها الصواري والأبراج وزودوها بالآلات والجنود ، وبدت كأنها قلعة عائمة . وبدأوا الهجوم بها يوم السبت الموافق الثاني من فبراير عن طريق الخليج الأزرق ، ولكن القوات الإسلامية تصدت لهم ، كما أن ورداءة الطقس تسببت فى إعاقتهم فأجبروا على العودة إلي معسكرهم[٢].

ولكنهم لم ييأسوا بل عاودوا الهجوم نفس اليوم مرة أخرى ، إلا أن الظروف الجوية السيئة التي تمثلت في هطول أمطار غزيرة ، إضافة إلى وشدة البرودة جعلتهم ينسحبون ثانيًا واضطروا إلي تأجيل الهجوم لوقت لاحق، ومع أن الجانبين كانا مستعدين للقتال في يومي الأحد والاثنين ، إلا أن رداءة الجو عاقتهما عن القيام بأي أعمال عسكرية[٣]. وهكذا كان للظروف الجوية السيئة دور فعال فى صد وإعاقة وإفشال هجمات الصليبيين على القوات الإسلامية فى مناسبات متعددة .

وبعد ذلك مباشرة أكتشف الكامل مؤامرة قام بها أحد أشهر قواته وهو عماد الدين بن المشطوب[٤] ، ولفيف من القادة الآخرين ومفادها أن هؤلاء القادة أتفقوا فيما بينهم على خلع

---

(2) Hist. Patr. Alex, pp.,244,245.

(3) Oliver of Padenborn, op,cit., pp.33, 34.; His. Patr. Alex, p. 245 , 246.; Roger of Wendover, II,415 .

(4) Oliver of Padenborn, op,cit.,pp. 34, ; His. Patr. Alex, p. 246. ; Roger of Wendover, II,415 .

(١) ابن المشطوب : هو أبو العباس أحمد ابن المير سيفابى الحسن على بن أحمد بن ابى الهيجاء أبن عبد الله بن أبى الخليل بن مرزبان الهكارى المعروف بابن المشطوب ، ولقبه عماد الدين ، وكان من أشهر الأمراء الهكارية وكان صلاح الدين قد أعطاه ثلثى مدينة نابلس إقطاعا له بعد وفاة والده الذى أظهر بطولات عديدة فى محاربة الصليبيين وخاصة فى الدفاع عن مدينة عكا أثناء حصار الحملة الصليبية الثالثة لها عام ١١٩١م.

انظر : المقريزى : الخطط ، ص ٤٠٠.؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جزاءان ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٧٥هـ جـ١ ، ص٨١.؛ الأصفهانى: الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق وشرح وتقديم محمد

الكامل من الملك وتولية أخيه الفائز ، وما كان من الكامل الا أنه خشى على نفسه من كيد هؤلاء القادة الكبار فأنسحب من العادلية إلى أشموم طناح فى ليلة الثلاثاء ١٨ من ذو القعدة ٦١٥ هـ / ٥ فبراير ١٢١٩م ، ولما أستيقظت عساكر المسلمين وعرفوا بالأمر خشوا على أنفسهم من غدر القادة بهم ومن هجوم الصليبين عليهم وهم بدون قيادة فقاموا للفور بالأنسحاب المفاجيء والرحيل من معسكرهم بالعادلية وألتحقوا بقائدهم الملك الكامل فى أشموم طناح[1]، ومن شدة خوفهم وهلعهم أنسحبوا بدون خطة ودون نظام وتركوا كثير من خيامهم وأسلحتهم ومؤنهم ودوابهم ، ولم يحملوا معهم الا النذر اليسير من كل هذا [2] ، وبذلك أصبحت العادلية خط الدفاع الأول ضد الصليبيين خالية من العسكر بعد أن قاومت الصليبيين حوالى ثمانية شهور وأصبح الطريق مفتوحا أمام الصليبيين لتهديد دمياط .

ومن الملاحظ أن هذا الوقت فى التقويم الهجرى هو منتصف الشهر تقريبا أى أن القمر كان يعطى ضوءه كاملاً الأمر الذى يجعل الصليبيون يستطيعوا رؤية المسلمين عند إنسحابهم ، كما أن عيون الصليبيون كشفت لهم الأمر ، ولذلك لم يكن انسحاب المسلمين من العادلية خافيا على الصليبيين مع انهم كانوا يجهلون أسبابه ، ولكنهم أستغلوا الفرصة وتحركوا بسرعة

محمود صبح ، القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥، ص٥٠٥ ، ٥١٣.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سابق ، ص ٩٢٩، ٩٣٠. ؛ محمد محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ، ص ٤٥٨، ٤٥٩.

(٢) أشموم طناح : تسمى أيضا أشمون وهى من أقدم المدن المصرية ، وأسمها القبطى اشمون الرمان **Chemoun Erman** ومنه جاء الأسم العربى أشموم ، وتقع على الشاطىء الشرقى لبحر أشموم. وكانت مليئة بالأسواق والمساجد والفنادق، وكانت قاعدة إقليم الدقهلية حتى نهاية العصر المملوكى، ثم حلت المنصورة محلها ، وبعد ذلك ضعفت أهميتها وأصبحت قرية عادية تتبع مركز دكرنس بمديرية الدقهلية .

أنظر : ابن مماتى : مصدر سابق ، ص ٨٩.؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، أربعة أجزاء ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧، جـ١، ص ١٨٤.

(3) Oliver of Padenborn, op,cit.,p. 34.;His. Patr. Alex, p. 246.

أبو شامة مصدر سابق ، ص ٦١١ .؛ ابن الأثير : مصدر السابق ، جـ١٢ ، ص٢١١، ٢١٢. ؛ ابن واصل : مصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٦، ١٧.؛ المقريزى: الخطط ، ص ٤٠٠.؛ ابن خلكان : مصدر سابق ، جـ١ ، ص٧٢.؛ ابن الجوزى : مصدر سابق ، جـ٨، ق٢، ص٦٠٢.

وراجع أيضاً :

Runciman,op,cit,III, p.157.; Stevenson , op, cit ,p.304.; King, E.J., The Knights Hospitallers in The Holy Land, London,1931.p.193.

وعبروا النهر إلى الضفة الشرقية منه، وكان ذلك فى صباح نفس اليوم الذى رحل فيه المسلمون، وأستولوا على الأسلحة والمؤن التى تركوها ورائهم والسفن ، وقتلوا ما كان قد تبقى من رجال داخل المعسكر ، كما أسروا ما وجدوه من نساء وأطفال[١] .

وهناك وصف لأثنين من المصادر الصليبية المعاصرة لهذه الحملة، إذ نجدهما يعطيا وصفا دقيقا لطبيعة الأرض فى العادلية بعد رحيل المعسكر الإسلامى منها ووصول المعسكر الصليبى إليها ، أذ كانت الأرض موحلة جدا ، وبها كثير من المياه التى حولتها إلى مستنقعات لدرجة أن الفرسان الصليبيين وجدوا صعوبة بالغة فى التحرك عليها بجيادهم فنزلوا عنها وأخذوا يسيقونها دون سروج أو ركب ، ولكن بعض قادة الداوية تمكنوا من إعتلاء جيادهم بشجاعة ورفعوا أعلامهم عليها[٢]، وأسرعوا فى الوصول نحو المدينة وهاجموا الجنود المسلمين الذين كانوا خارجين من أبوابها للدفاع عنها ، وتمكنوا من قتل عدد كبير منهم[٣]، ومن هذا الوصف يتضح أنه ربما قام المسلمون بإغراق معسكرهم فى العادلية عن طريق فتح أو كسر جسور النيل القريبة منهم قبيل فرارهم على عجل ، وذلك حتى لا تقع أشيائهم غنيمة باردة فى يد الصليبيين، أو أن ذلك كان بسبب هطول أمطار غزيرة فى هذا الوقت، ولا سيما وأن التوقيت الميلادى لهذا الشهر هو الخامس من فبراير ويقابله أواخر الشهر القبطى طوبة وهو شهر من شهور فصل الشتاء بل هو أكثر شهور السنة القبطية وأغزرها مطرا وأشدها بردا ، وكذا شهر أمشير الذى يليه، وهذا ما نميل إليه ونرجحه .

وبعد أن أستقر المعسكر الصليبى فى العادلية شرع فى محاصرة دمياط وأحكمت القوات الصليبية حصارها من جميع النواحى البرية والبحرية وأخذوا يقطعون خطوط أمدادها من الجانب الإسلامى[٤]، وإلى جانب ذلك عملوا على تحصين جيزة دمياط أيضا حتى لا تفاجئهم

---

(1) Oliver of Padenborn, op,cit.,pp. 34,35.;Rogerof Wendover,II, 415 .
راجع : سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، ص ٩٣٠. ؛ محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ٢٥١، ٢٥٢.

(2) Oliver of Padenborn, op,cit.,pp. 35.;Roger of Wendover,II,415 .
(3) Oliver of Padenborn, op,cit.,pp. 35; Roger of Wendover,II,415 .
(1) Oliver of Padenborn, op,cit.,pp. 35; Roger of Wendover,II,416 .; His. Patr. Alex, p. 246.

القوات الأسلامية بهجوم منها ، فتركوا بها جزءا من قواتهم يكفى للدفاع عنها عندما تتعرض للهجوم، كما أقاموا جسرا يربط بينها وبين باقى معسكرهم فى العادلية ، وكان هذا كافيا لدرء أى هجوم يأتيهم من الجانب الإسلامى من هذه الناحية[١]. وكذلك عملوا على حفر خندق كبير يحيط بمعسكرهم فى العادلية فى مقابلة المعسكر الإسلامى ليساهم فى تحصين معسكرهم من ناحية الجنوب ويدفع عنهم الغارات الإسلامية، وبالفعل قام هذا الخندق بدور كبير فى هذا الأمر[٢].

ومنذ أن وصلت القوات الصليبية إلى العادلية والجيش الإسلامى لم يكف عن الإغارة عليهم ، ومن هذه الهجمات ما حدث في يوم ١٤ من ذي الحجة ٦١٥ هـ/٣ مارس ١٢١٩م، حيث أستغل الكامل العدد الكبير من القوات الإسلامية التى بدأت تتوافد عليه من عساكر الشرق الإسلامى وقام بترتيبهم وتنظيمهم ، ثم قامت هذه القوات الإسلامية بهجوم كبير على القوات الصليبية ، وأقتربت من المعسكر الصليبى ولكن لأن الوقت شتاء فقد ساءت الأحوال الجوية وقامت عاصفة شديدة وسقطت أمطار غزيرة وأرتفعت مياه البحر وأنخفضت درجة الحرارة كثيرا ، وأستمرت هذه الموجة السيئة أسبوعا كاملا حتى أن أحد المؤرخين المصريين المعاصرين لهذه الحملة والقريبين منها رأى أن هذه الموجة لم يرى مثلها فى مصر من قبل فى زمنه ، وهو ما أدي إلي تراجع القوات الإسلامية عن هجوم الصليبيين ، وكان لهذه الموجة السيئة تأثيرها أيضاعلى معسكر المسلمين فى أشموم طناح إذ يبدوا أنها أغرقته بالمياه فأمر الملك العادل بنقل المعسكر إلى فارسكور[٣].

وهكذا لم تتوقف هجمات المسلمون على المعسكر الصليبى ، كما كانت حامية المدينة تدافع بشجاعة عنها ، وفي أحدى هذه الهجمات التى جرت يوم السابع عشر من جمادى الأولى الموافق ٣١ يوليو من نفس العام قام الكامل بهجوم شديد على المعسكر الصليبى وأحدث فيه خسائر جسيمة وكاد الجيش الصليبى يهلك عن آخره إذ لم يتدخل الفرسان التيوتون والداوية

محمود سعيد عمران :الحملة الخامسة، ص ٢٥٣. ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سابق ، ص ٩٣٠. ٩٣٤.؛ محمد محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ، ص ٤ ٤٦٢.

(2) Oliver of Padenborn, op,cit.,pp. 35; Roger of Wendover,II,416.

(3) Oliver of Padenborn, op,cit.,pp. 36ff ; Roger of Wendover,II,416ff .

(1) Hist. Patr. Alex, p. 248, 249.

وتصدوا ببسالة للعساكر الأسلامية ، كما أن حلول الليل وضع حدا للقتال بينهما وساهم فى إنقاذ الصليبيين من هلاك محقق[١].

ولم يكن الصليبيون يلتزمون سياسة الدفاع كل الوقت أثناء حصارهم دمياط ، ولم يتقبلوا الهجمات والضربات الإسلامية دون رد ، بل كانوا يبذلون أقصى ما فى وسعهم لرد تلك الضربات والدفاع عن معسكرهم ، بل ونجدهم فى بعض الأحيان يتبعون سياسة الهجوم ويقومون بهجمات شديدة على القوات الإسلامية بجانب حصارهم دمياط، ومنها تلك الهجمة التى قاموا بها فى التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٢١٩م /١٦ جمادي الثاني ٦١٦هـ ، حيث قامت القوات الصليبية من معسكرها في العادلية وتوجهت إلي فارسكور حيث يوجد المعسكر الإسلامي ، وشنوا هجماتهم عليه ، فتظاهر المسلمون بالإنسحاب حتى ظن الأعداء أنهم خائفين من القتال ، وخلد الصليبيين إلى الراحة ، ولكن بعد فترة قصيرة عادوا وفاجئوا الصليبيين بالهجوم ، وانتهت هذه المعركة بهزيمة الصليبيين هزيمة قاسية ، وبلغ عدد القتلي منهم ألفًا من الجنود وأربعمائة من الفرسان ، وقد مات بعضهم بحد السيف ، كما مات آخرون بفعل حرارة الجو وشدة العطش، إذ كانوا يظنون أن الماء الجارى فى الخنق الذى يحيط بالمعسكر الإسلامى ماءّ حلوا وعندما أقتربوا منه وتزوقوه وجدوه مالحاّ، وأعياهم العطش جدا حتى أنهم أخذوا يشربون الخمور المركزة دون تخفيفها بالماء ، وهو ما عمل على زيادة إحساسهم بالعطش ، وتسبب هذا الأمر فى موت الكثير منهم[٢]، وهكذا كانت شدة الحرارة وندرة المياه دور كبير فى سير أحداث المعارك التى تقوم بها القوات الصليبية فى مصر.

وأثناء محاصرة الصليبيون لدمياط عملوا على قطع طرق الإمدادات إليها، كما فطنوا لكل حيل المسلمين في تزويد المدينة بالمؤن؛ حتى تعذر الوصول إليها وأصبحت معزولة تمامًا عما حولها ، وهو ما أدي إلي نقص المؤن والأقوات داخلها ، وانتشرت الأوبئة والمجاعات الفتاكة[٣]. وكانوا يتألمون فى كل يوم أكثر مما قبله ، كما عمل أهلها على إخفاء معاناتهم وأوجاعهم داخلهم ، الأمر الذي تسبب في موت كثير ممن بداخلها من رجالها ونسائها وأطفالها

---

(2) Oliver of Padenborn, op,cit.,p.40 ; Roger of Wendover,II,417 .
(3) Oliver of Padenborn,op,cit.,pp. 42, 43.;Roger of Wendover ,II, 419.
(1) Oliver of Padenborn,op,cit.,pp.44.; Roger of Wendover,II, 421.
المقريزى : مصدر سابق ، ص ٤٠١ ، ٤٠٢.

وملئت شوارعها ومنازلها بالموتي، ويذكر أن عدد سكانها تضاءل جدًا حتي بلـــغ ثلاثـــة آلاف نسمة، وأن مئة منهم فقط كانوا بصحة جيدة[١].

ولم يكن الأمر والوضع فى المعسكر الإسلامى خارج المدينة أفضل بكثير عمـــا كـــان بداخلها فهو أيضا أصابه الفقر والجوع والمرض وقلة الأقوات ، وأرتفعت الأسعار جدا وأشتد الغلاء وعم أرض مصر كلها ، وكان سبب ذلك عجز النيل عما يأتى به من ميـــاه الفيـــضان وجاء فيضانه شحيحا فى هذا العام ، وظلت أجزاء كثيرة من أرض مصر وشمالها بصفة خاصـــة جافة ولم تزرع[٢]. ومما لا شك فيه أن هذا كان من الأسباب المهمة التي أدت في النهايـــة إلي سقوط المدينة في يد الصليبيين بعد حصار دام أكثر من سبعة عشر شهرًا ، وكان سقوطها يوم الثلاثاء الموافق الخامس والعشرين من شعبان ٦١٦هـــ /٥ نوفمبر ١٢١٩[٣].

وبعد سقوط دمياط فى أيدى الصليبيين أنسحب المعسكر الإسلامى من فارســـكور إلى موضع جنوب بحر أشموم مقابل مدينة طلخا التى تقع على الضفة الآخرى للنهر[٤]، عرفت فيما بعد بأسم المنصورة . ومن الواضح أنه تم اختيار هذا المكان لجملة أسباب تتعلـــق بالعوامـــل الطبيعية ومنها أنه يأخذ شكلاً مثلثاً ومحصن تحصيناً طبيعياً فريداً حيث يحده من ناحية الشمال

---

(2) Roger of Wendover ,II, 423.; His. Patr. Alex. pp. 255.
(3) His. Patr. Alex. P. 253.;

المقريزي : الخطط ، جـــ١، ص ٤٠١، ٤٠٢ .

(4) His. Patr. Alex. P. 254.;

المقريزي : الخطط ، جـــ١، ص ٤٠٢ .

ولمزيد من التفاصيل حول سقوط المدينة فى يد الصليبيين راجع :

His. Patr.Alex.pp.252-255.;Oliver of padenborn,op,cit,pp.44-56.; Roger of Wendover, op,cit,II,pp.421-424.;

أبو شامة : مصدر سابق ، ص ١١٦ ، ١١٧. ؛ ابن كثير: البداية والنهاية ، تحقيق ومراجعة وفهرســـة دار أبى حيـــان ، الطبعة الأولى ، ١٥ جزء ، القاهرة : دار أبى حيان ، ١٩٩٦، جـــ١٣ ، ص١٠٩، ١١٤.؛ ابن العمـــاد : شـــذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٤٠ – ١٣٥١هـــ،جـــ ٥، ص٦٦.؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهـــرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ٩ أجزاء ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ،١٩٢٩ -١٩٤٢ ، جـــــ٦ ، ص ٢٣٨. ؛ محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة، ص ٣١٢– ٣٣١.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق، ص ٩٣٤.
المقريزي : الخطط ، جـــ١، ص ٤٠٢ .

بحر أشموم طناح المعروف بشدة إنحداره وسرعة جريانه، ومن الغرب فرع دمياط والأراضى المصرية من الجنوب حتى القاهرة ، كما أنه مكان فسيح يتسع ليشمل المعسكر الإسلامى بأكمله، كما أنه يتميز بقربه من القاهرة عاصمة مصر ومركز الحكومة ، وقريب من خطوط الأمدادات الإسلامية فى بلاد الشام عبر سيناء وشرق الدلتا ، بالإضافة إلى قربه من الدلتا نفسها وميناء سمنود التجارى الذى يتوفر فيه المحاصيل الزراعية التى يحتاجها المعسكر الإسلامى، ويتصل بكثير من بلاد الدلتا الهامة . وقد أكسبها هذا الموقع الجغرافى المتميز أهمية عسكرية كبيرة إذ أصبح الجيش الإسلامى يقف مثل حجر عثرة فى طريق الصليبيين إلى القاهرة . ولم يكتف الكامل بهذه الحصانة الطبيعية وحدها بل عمل على زيادة تحصين المكان بعمل أسوار دفاعية له بالقرب من الناحية الشرقية المطلة على النيل ، وبنى فيه الدور والحمامات والأسواق والفنادق[١].

وبعد أن أستولى الصليبيون على دمياط ، كان الكثير منهم يعانون من ضعف حالتهم الصحية ومهاجمة الأمراض لهم مما جعلهم يتركون الحملة ويعودوا إلي بلادهم في الغرب اللاتيني، وكان من بين العائدين عدد كبير من الفرسان الايطاليين ، وبعض رجال الدين . ومما لا شك فيه أن عودتهم أثرت كثيرًا على تماسك الجيش الصليبي ، وأسهمت في إصابته بالضعف في الوقت الذي كان في أشد الحاجة إلي مزيد من الرجال ، للتقدم صوب القاهرة [٢] .

وكعادة الصليبيون بعد كل معركة ينتصرون فيها ويحققون منها الإستيلاء على غنائم ومدن جديدة يخلدون للراحة ويضيعوا وقتاً طويلاً دون أن يتحركوا لمواصلة القتال ،

---

(1) His. Patr. Alex. P. 254.;

المقريزي : الخطط ، جـ١، ص ٤٠٢ .

(2) Roger of Wendover, op,cit,II,pp.433,434.

لمقريزي : الخطط ، جـ١، ص ٤٠٢ .؛ ابن إياس : كتاب تاريخ مصر المعروف ببدائع الزهور فى وقائع الدهور ،الطبعة الأولى ، ٤ أجزاء ، بولاق ،١٣١١ – ١٣١٤، جـ١ ، ص ٧٩.؛ محمد مصطفى ذيادة : مرجع سابق ، ص ٥٣ ، ٥٤. ؛ محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٣٣٨ – ٣٤٠.

(1) Roger of Wendover, op. cit., p. 426 .; Runciman , op, cit, III,pp. 162 , 163.; King, op , cit, p.194.;

محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٣٥٤.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ص ٩٣٦. ؛ محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ، ص ٤٦٣.

ويتصارعون فيما بينهم على تقسيم الغنائم ، فبعد إستيلائهم على دمياط رأى الملك الصليبى جان دى برينJohn of Brienne (١٢١٠-١٢٢٥م) [١] أن يمكث أفراد الجيش فى دمياط فترة يستريحون فيها من مواصلة القتال، وينتظرون قدوم الأمبراطور الألمانى فردريك الثانى[٢] Fredric II (١٢١٢- ١٢٥٠م)، ويعملون على تحصين دمياط[٣]. ويبدوا أن الوقت الذى أضعوه منهم وهم يتصارعون فيما بينهم على تقسيم الغنائم ، وما أستولوا عليه من ثروات دمياط الطائلة أغراهم بالراحة فراحوا يشغلون أنفسهم بالهو والفساد وشرب الخمور ولعب الميسر والعبث والفجور غير مهتمين بقرار الحرمان وغير محترمين لرجال الدين ،

---

(٢) جان دى برين : ملك بيت المقدس الصليبى ،ولد فى فرنسا عام ١١٥٠م تقريبا ، أرسله ملك فرنس فيليب أغسطس إلى الشرق وأختاره زوجا للملكة الصغيرة مارى أبنة الملكة إيزابيل من زوجها الثانى كونراد دى مونتفرات ، وتم الزواج فعلا وكان عمره يتجاوز الستين عاما ، أما زوجته مارى فكانت دون العشرين ، وأصبح الملك الشرعى لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ثم ماتت مارى بعد عام تقريبا من زواجها بعد أن أنجبت لجان أبنة وحيدة هى إيزابيل ، وأستمر جان يدير المملكة بإعتباره الوصى على أبنته الرضيعة ، ولكى يبعد عنه الطامعون فى المملكة بدء يعمل على توجيه أنظار الصليبيين فى الشرق والغرب إلى القيام بالحملة الصليبية الخامسة على مصر ولكنها فشلت ، كما أنه زوج أبنته للأمبراطور فردريك الثانى عام ١٢٢٥م لكى يشجعه على القبام بحملة على الشرق ، وبعد خروجه من بيت المقدس سافر إلى القسطنطينية وعمل نائبا للأمبراطور اللاتينى بلدوين الثانى ، وتمكن من صد هجمات البلغار واليونانيين على القسطنطينية ، ثم توفى عام ١٢٣٩م.

راجع : سعيد عاشور : مرجع سابق ، ص ٩١٠ – ٩١٢ ، ٩٢٣ وما بعدها .

(٣) الأمبراطور فردريك الثانى : ولد فى إيطاليا عام ١١٨٨م ، والده الأمبراطور هنرى السادس وجده الأمبراطور فردريك بربروسا ، مات والده وهو صغير فتوجته والدته ملكا على صقلية ، وفيها تعلم العلوم الدينية والدنيوية من قانون وأدب وفلسفة ورياضيات، وأتقن العديد من اللغات منها العبرية والعربية التى تعلمها من عرب صقلية وتعلم أدابها ، مما جعل المؤرخون يطلقون عليه لقب أعجوبة الدنيا ، قلده البابا أنوسنت الثالث أمبراطورا على ألمانيا وهو فى السابعة عشر من عمره ، ثم أشتبك فى صراع طويل ومرير ضد البابوية لأنها رفضت مشروعه توحيد إيطاليا والمانيا فى مملكة واحدة ، ولأنه خلع عنه سلطة البابوية وأعد نفسه قد توج من الله مباشرة ، جعل صقلية =قبلة للدارسين والعلماء ،وأسس بها جامعة نابولى عام ١٢٢٤م ، وجعل من جامعة سالرنو أفضل مدرسة للطب فى أوربا، قام بالحملة الصليبية السادسة وأستطاع من خلال التفاوض مع الملك الكامل الإستيلاء على القدس ، فكانت حملته هذه أغرب الحملات الصليبية على الشرق فى العصور الوسطى

راجع : : سعيد عاشور : مرجع سابق ، ص٩٥٠ – ٩٧٧. ؛ محمد مرسى الشيخ ، مرجع سابق ، ص ٤٧٣ – ٤٩١.

(1) His. Patr. Alex. P. 254ff. ; Setton , op, cit ,p.420.

(٢)ابن الأثير : مصدر سابق ، جـ١٢ ، ص ٢١٣.

وهكذا ضيعوا وقتهم فى هذه الأمور السافهة ولم يفيقوا منها إلا بعد ضياع عام ونصف كاملاً[١]. وقد كان عامل الوقت هذا مهماً لدرجة أن أحد المؤرخين رأى أنه كان فى غير صالح الصليبيين ، وقد أضرهم كثيرا وكان له تأثير كبير على نتائج حملتهم، وكان هذا العامل سبباً من أسباب فشلها[٢].

ومن الظروف الطبيعية أيضًا طبيعة الأرض ويقصد بذلك أن الصليبيون بعد استيلائهم على دمياط لم يكن لديهم دراية للطبيعة الجغرافية للأرض بين دمياط والقاهرة ، ولم يضعوا حسابًا لها في خططهم العسكرية ، ولم يعرفون أنها تمتد لأكثر من مائة ميل ، ومليئة بالترع والقنوات المتفرعة عن نهر النيل وبالمستنقعات ، وكثير من مواضعها غير صالحة للإقامة .

وقام الصليبيون في منتصف شهر يوليو عام ١٢٢١م/ منتصف جمادي الأول ٦١٨هـ، بعقد مجلس للحرب لتقدير وجهة الحملة بعد دمياط ، وفيه أصر المندوب البابوي بلاجيوس[٣] **Pelagus** التحرك جنوبًا والزحف على القاهرة [٤]، أما الملك جان دي برين فقد كان يعارضه في هذا الأمر ويري أنه يجب عليهم الانتظار حتي قدوم الامبراطور فردريك الثاني الذي وعد باللحاق بالحملة ، كما أنه تعلل بأن الوقت غير مناسب للزحف نحو القاهرة بعد أن ابتدأ فيضان النيل في القدوم فضلاً عن إرتفاع درجة حرارة الجو في فصل الصيف ، وخوفًا من أن تتسبب حرارة الجو في انتشار الأمراض والطواعين في المعسكر الصليبي[٥].

---

(3) Oliver of padenborn, op,cit,pp. 54, 65.; Roger of Wendover, op, cit , II,pp.433.

محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٣٥٨ – ٣٥٩،؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، ص ٩٣٤، ٩٣٥. ؛ محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ص ٤٦٣، ٤٦٤.

(٤) محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٣٤٥.

(٥) بلاجيوس : كاردينال برتغالى وأسقف البانو ، أختاره البابا هونوريوس الثالث ليكون نائبا عنه فى الحملة الصليبية الخامسة ، وطلب من جميع الصليبين إطاعته وهو ما أدى إلى حدوث أنشقاقات عنيفة بين الصليبين فى الشام وخاصة بينه وبين الملك الصليبى جان دى برين ، مما نتج عنه فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر .

راجع : محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ١٨٣ – ١٨٤ ، ٣٤٧ وما بعدها .

(1) Oliver of padenborn, op, cit, pp. 70,71.

(2) Roger of Wendover, op, cit , II,pp.452.; Oliver of padenborn, op, cit, pp. 57.; Setton , op, cit ,II ,pp.419,420.

وكعادة المندوب البابوي لم يلتفت إلي مشورة الملك ، وأصر على تنفيذ ما يصبو إليه وأخذ يتقدم بالجيش الصليبي في الطريق نحو القاهرة. وكان المعسكر الإسلامي يوجد في المنصورة على بعد مسيرة يوم واحد من دمياط ، وتقدمت القوات الصليبية وبجانبها سارت القوات الأخرى لتزودها بمياه الشرب ، وهذا يعنى أن الصليبيين كانوا يعانون من نقص فى المياه العذبة، وتقدموا حتي بلغوا فارسكور في الثامن عشر من شهر يوليو عام ١٢٢١م /٢٥ جمادي الأولي ٦١٨هـ[١] ، ثم استولوا علي شارمساح في الرابع والعشرين من نفس الشهر[٢]. وعندما رأى الملك الصليبي بحر المحلة [٣] أبلغ المندوب البابوى بلاجيوس **Pelagus** بخطورة هذا البحر على المعسكر الصليبي إذ أنه من الممكن أن يستخدمه الأسطول الإسلامي في تهديد مؤخرة الأسطول والجيش الصليبي ، ولذلك عرض عليه أن يتركوا فيه حراسة قوية تتكون من عشرة سفن لصد أي هجمات من جانب المسلمين ، ولكن المندوب البابوي لم يلق اعتبارًا لكلمات الملك واستمر يتقدم بالحملة[٤]. ويرجع هذا إلي أنه كان يعتقد أن بحر المحلة شديد الجريان ولا يصلح للملاحة[٥]. مما يدل على جهل بلاجيوس وأعوانه بطبوغرافية الأراضي المصرية ، ويري المؤرخون أن ذلك كان من الأسباب الرئيسية في هزيمة الحملة[٦] .

وأخذت القوات الصليبية تتقدم جنوبا بقيادة بلاجيوس ، دون أن يتمهلوا قليلا للتفكير فى تحزيرات الملك جان دى برين ، ولم يدركوا أن الخطورة الحقيقية تتمثل فى طبيعة الأرض التى يسيرون عليها ، وظلوا سائرين حتى بلغوا حافة جزيرة دمياط التى تقع بين فرع دمياط فى

محمود سعيد عمران، مرجع سابق ، ص٣٦٨ ، ٣٦٩ .؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، ص ٩٣٦، ٩٣٧.؛ محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ، ص ٤٦٣ - ٤٦٥.

(3) Oliver of padenborn, op, cit, pp.73.

(4) Ibid , p.74.

(٥) بحر المحلة :أحد فروع المياه العذبة الخارجة من فرع دمياط عن طريق فرع آخر يسمى فج مليج عند قرية ضيا الكوم بالقرب من طنطا ، ويسير بمحازاة فرع دمياط حتى يلتقى به عند شرمساح ويصب فيه .

راجع : أبن مماتى : مصدر سابق ، ص ٢١٨ . ؛ محمود سعيد عمران ، مرجع سابق ، ص ٣٧٢ حاشية ٣.

(6) Stevenson , op , cit , p. 305

(1) Oliver of padenborn, op, cit, pp81.

(2) Setton, op, cit., II, p. 495.

محمد مصطفي زيادة : المرجع السابق ، ص٥٧ ، محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص٣٧٣ .؛ محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ، ص ٤٦٧.

الغرب وبحر أشموم طناح فى الشرق ومن ورائهم المعسكر الإسلامى ، وذلك فى ٢٤ من يوليو ١٢٢١م / ٢ جمادى الآخرة ٦١٨ هـ[١].

كما قامت بعض السفن الإسلامية الأخري بالتقدم في فرع دمياط شمالاً واشتبكت في معركة بحرية مع السفن الصليبية ، وكان النصر حليفها وتمكنت من أسر ثلاث سفن صليبية بما فيها من رجال وسلاح ومؤن وأموال[٢] ثم اشتبك الأسطول المصري مع الأسطول الصليبي في عدة معارك متتالية وكان النصر حليف الأسطول المصري ، وكانت ضربة قاسية على الصليبيين إذ قطعت كل خطوط امدادهم من دمياط ، وأصبحوا معزولين عما حولهم ، وعند ذلك أدركوا أنهم يسيرون في أرض يجهلون طبوغرافيتها وطبيعتها[٣].

وبمرور الوقت أخذ ماء النيل يزيد إذ كان الوقت وقت الفيضان[٤] والصليبيون يقيمون في موقعهم قبالة أشموم طناح ، وكانت فرصة عظيمة للملك الكامل ، عمل على استغلالها وأرسل بعض من رجاله وعبروا إلي المنطقة التي بها معسكر الصليبيين وكسروا جسور النيل فيها وهو ما أدي إلي تدفق كميات كبيرة من المياه على معسكر الصليبيين وأغرقت الأرض ، وغرق معها معظم الآلات الحربية والمؤن ومعدات الجند وأصبحوا مثل السمك في الماء أو فى الشباك ، ولم يبق لهم جهة يسلكونها ليهربوا وينجوا بأنفسهم إلا جهة واحدة وهي الطريق الضيق الملاصق للنيل ويمتد من معسكرهم شمالاً حتي دمياط . إلا أن القوات الإسلامية تمكنت من عبور النيل على الجسور وسدت عليهم هذا الطريق أيضًا ، وقطعوا عليهم خط الرجعة ، وفشلت محاولتهم في الرجوع إلي دمياط[٥]، كما فشلوا في عبور بحر أشموم لملاقاة المسلمين

---

(3) Oliver of padenborn, op, cit, p.74.

المقريزى : الخطط ، جـ١، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .؛ محمود سعيد عمران : مرجع سابق، ص٣٧٤ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢، ص ٢١٤. ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٤، ص٩٥. المقريزى : الخطط ، جـ١، ص ٤٠٢ .؛

(5) Hist. Patr. Alex., p.257.; Oliver of Padenborn,op,cit,p.83,84

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢، ص ٢١٤. ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٤، ص٩٥.؛ أبو المحاسن : مصدر سابق ، جـ٦، ص٢٤١ .؛ المقريزى : الخطط ، جـ١، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(1) Hist. Patr. Alex., p.257.;

المقريزى : الخطط ، جـ١، ص ٤٠٣ .

(2) Hist. Patr. Alex., p.257 .; Oliver of Padenborn, op. cit. p .83,84.

وقتالهم وجها لوجه ، وقام الكامل بإرسال بعض قواته شمال معسكر الصليبيين عبر بحر أشمـــوم وهاجمت الصليبيين من الخلف ، كما قام عامة الشعب المصرى بالإغارات المتكررة علـــيهم ، فاجتمع عليهم عدة كوارث في وقت واحد منها أنهم أصبحوا محاصرين من جميـــع الجهـــات بالقوات الإسلامية، وأن معسكرهم تحول إلي شبه بحيرة أو مستنقع كبير يحيط به الماء من كل الجوانب ، كما أنهم أصبحوا عطشي بالرغم من كثرة الماء حولهم ، وجوعي ويتعرضون لحرارد الشمس الشديدة ، وعندما أيقنوا أنهم هالكون لا محالة ، انقطع رجائهم في المقاومـــة وألقـــوا أسلحتهم من أيديهم وسلموا أنفسهم أسري في أيدي القـــوات الإســـلامية [1]. ثم عقـــدت مفاوضات الصلح بين الجانبين وأعادوا دمياط للمسلمين في التاسع عشر من رجب ٦١٨هـــ /٨سبتمبر ١٢٢١م ، وخرجوا من مصر[2]. وبهذا انتهي أمر الحملة الصليبية الخامسة دون أن تحقق الهدف الرئيسي الذي قامت من أجله وهو الاستيلاء على مصر واستعادة الاستيلاء على بيت المقدس عن طريق مصر . ولعب نهر النيل وجسوره والظروف الطبيعيـــة دور كـــبير فى فشلها.

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـــ ١٢، ص ٢١٦.؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـــ٤، ص٩٦.؛ ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ويعرف بتاريخ ابن الوردى ، ٢ جزء ، القاهرة ، المطبعـــة الوهبيـــة ، ١٨٦٨، جـــــ٢ ، ص ٢٤٣.؛ المقريزى : الخطط ، جـــ١، ص٤٠٣ .

وراجع : محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ٣٨٣ – ٣٨٦.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع ســـابق ، ص ٩٣٨ ، ٩٣٩.

(3) Hist. Patr. Alex., p.257.; Oliver of Padenborn, op. cit. p .84,85

المقريزى : الخطط ، جـــ١، ص ٤٠٣ .؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـــ ١٢، ص ٢١٦.

(1) Hist. Patr. Alex., pp.258,259.;Oliver of Padenborn,op.cit. pp .90, 91.

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـــ ١٢، ص ٢١٦.؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـــــ٤، ص ٩٧-١٠٠، ١٠٥.؛

المقريزي : الخطط ، جـــ١، ص ٤٠٢، ٤٠٣ .؛ ابن الجوزى ، مصدر سابق ، جـــــ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٢٠ ، ٦٢١. ؛

أبو المحاسن : مصدر سابق ، جـــ ٦ ، ص ٢٤٢، ٢٤٣.؛

راجع : محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ٣٩٣ –٤٠٩. ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجـــع ســـابق ، ص ٩٣٩ - ٩٤١.؛ محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ، ص ٤٦٨، ٤٦٩.

ويتتابع دور الظروف الطبيعية فى سير الحملات الصليبية على مصر فى أحداث الحملة الصليبية السابعة والتى كان هدفها هو نفس هدف الحملات السابقة، بالإضافة إلي المحافظة على الكيان اللاتيني بالشرق وحمايته من الهجمات التي كان يشنها عليه القوات الأسلامية.

وبعد أن تم تجهيز الحملة خرجت من غرب أوربا قاصدة الشرق ، وفى طريقها عرجت على قبرص ووصلتها فى سبتمبر ١٢٤٨م وتجمعت بها ، وأمضت بها ثمانية أشهر كاملة[١]، وفي أثناء هذه الفترة الطويلة التي قضتها الحملة في قبرص انتشرت الأمراض بين صفوف القـــوات الصليبية ، وتسببت في موت ما يقرب من مائتين وخمسون من الجنود[٢] ، وكانت هذه الفترة كافية لأن تتسرب فيها أخبار الحملة وتصل إلي الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر عن طريق الأمبراطور فردريك الثانى ، مما أتاح للسلطان الفرصة والوقت الكافي للاســـتعداد لمواجهـــة الصليبيين[٣] .

وبعد ذلك خرجت الحملة من قبرص فى مايو ١٢٣٩م ، وهي تتألف من حوالي ألـــف وثمانمائة قطعة حربية ما بين شواني وبطس ومسطحات حربية ، وتحمل نحو خمسون ألف مقاتل من مشاة وفرسان، ومعهم عدتهم وسلاحهم ومؤنهم وخيولهم[٤]، وفي طريقهم إلي مصر هبـــت عليهم عاصفة في البحر شتت بعض سفنهم ودفعت الأغلبية منها تجاه عكا وشواطئ الشام[٥]، وفي نهار الجمعة الموافق الرابع من شهر يونيو ١٢٤٩م / العشرين من صفر عام ٦٤٧ هـــــ وصل ما تبقي من الحملة إلي الفرع الشرقي للنيل ، ورست أمام جيزة دمياط[٦]. وقد اختارت دمياط بصفة خاصة رجوعًا للأسباب التي سبق ذكرها[١].

---

(٢) جوانفيل : مصدر سابق ، ص٥٨.؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص٦٧، ٦٨.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ،١٠٠٧، ١٠٠٨.؛محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ، ص ٥٠٨، ٥٠٩.

(3) Matthew Paris,op,cit, II, pp. 323, 324.

(٤) المقريزى : الخطط ، جـــ١ ، ص ٤٠٤ . ؛أبو المحاسن : مصدر سابق ، جـــ ٦، ص ٢٨٣. ؛ جوزيـــف نـــسيم يوسف: مرجع سابق ، ص٧٨، ٨٣. ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ،١٠٠٦، ١٠٠٧.؛ محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ، ص ٥٠٧، ٥٠٨.

(١) جوانفيل : مصدر سابق ،ص ٦٤.؛

Grousset,op,cit,III,p.438.

(٢) جوانفيل : مصدر سابق ،ص ٦٤.؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص ٨٩.

(3) Rothelin,op.cit,p.589.

هذا وقد جرت أحداث البداية في هذه الحملة على خلاف ما كان يتوقع لهـا ، ومـا جرت عليه أحداث سابقتها الحملة الخامسة. إذ أن الصليبيين تمكنوا بعد فترة قصيرة وبجهـود قليلة من عبور نهر النيل عند فرع دمياط عن طريق جسر كان يربط بين الجانب الشرقي للنيل عند دمياط وبين الجانب الغربي عند جيزة دمياط ، وسبب ذلك أن الأمير فخر الـدين قائـد القوات المصرية في جيزة دمياط قد اعتقد أن السلطان الصالح نجم الدين قد مـات في أشمـوم طناح ، وكان الأمير فخر الدين يطمع في أن يكون خليفته في حكم مصر ، الأمر الذي دفعـه إلي الإنسحاب بسرعة من جيزة دمياط إلي الفرع الشرقي من النهر على جسر يصل الجـانبين ببعضهما ، ومن أجل السرعة عبرت القوات المصرية دون أن تفطن لأمر الجسر فتركتـه دون تحطيمه ، فانتهزت القوات الصليبية الفرصة وعبرت بسرعة على الجسر خلف القوات المصرية. كما أن الأمير فخر الدين بدلاً من أن يدخل دمياط أو يعسكر خارجها ويحميها من الهجـوم الصليبي عمل علي التوجه بسرعة نحو أشموم طناح ومنها نحو القاهرة لتنفيذ رغبته في الاستيلاء على كرسي السلطنة قبل أن يسبقه إليه آخر، وفي نفس الوقت عندما رأت القوات الإسلامية في مدينة دمياط ما يحدث خرجت هي الأخري وهربت للتو إلي أشموم طناح والقاهرة ويصحبها أهل المدينة . وكانت النتيجة الحتمية لذلك هي تمكن الصليبيين من الاستيلاء علـى دميـاط بسهولة ويسر في السادس من يونيو١٢٤٩م/٢٢ صفر ٦٤٧هـ[٢].

ومن الملاحظ أن برج السلسلة الذي يقع قبالة دمياط في قلب نهر النيل لم يقوم بدوره هنا مثلما قام به في الحملة الخامسة ، وذلك بسبب وجود الجسر الذي يربط الـبر الـشرقي بدمياط بالبر الغربي ، مما أعطي الصليبيين فرصة العبور إليه دون النظر إلي برج السلسلة .

جوانفيل : مصدر سابق، ص٦٥، جوزيف نسيم يوسف: مرجع سابق ، ص٨٨، ٨٩.

Stevenson , op, cit, p326.

(٤) راجع ما سبق ، ص٦، ٧، ١٢، ١٣ .

(١) جوانفيل : مصدر سابق ،ص ٦٩-٧٢.؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص١٠١- ١٠٩.؛ سعيد عبـد الفتاح عاشور : مرجع سابق ،١٠١١، ١٠١٤.؛ محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق ، ص ٥١١، ٥١٤.

Rothelin,op.cit,p 591- 594.; Stevenson , op, cit, p325-326.; Davis,E.J., The Invasion of Egypt in 1249 A.D.(647 A.H.) by Louis IX of France,London,1897,p26.

وأدت هذه الأحداث إلي جعل الملك الصالح ينسحب بجيشه إلي المنصورة ، لأنه كان يعرف مدى حصانتها ، وضرب معسكره بها في ٢٤ صفر٦٤٧هـ/٨ يونيو١٢٤٩م[١]. وعلى الجانب الآخر مكث الصليبيين في دمياط نحو خمسة أشهر ونصف قبل أن يتجهوا جنوبها والسبب فى ذلك أنهم كانوا يعتقدون بقرب فيضان النيل ويخافون منه ، كما كانوا ينتظرون وصول بقية القوات الصليبية إليهم ، وكانوا يعقدون عليها أمالاً كبيرة ، كما أنهم أنشغلوا فى نهب المدينة ، وتوزيع غنائمها على أنفسهم ، وتصارعوا فيما بينهم على تقسيمها ، وأخذوا يقعون فى الرذائل المتعددة من شرب الخمور ولعب الميسر[٢].

وكانت نتجة هذه المفاسد ألحاق الإضرار بالحملة ، إذ هاجمتهم الحشرات والهوام ، كما كان هذا فرصة كبيرة للمسلمين لإعادة تنظيم أنفسهم والإستعانة بقوات أخري جاءت لنجدتهم من الشام، وزادت مناوشات القوات الإسلامية وعامة المسلمين عليهم ، واسروا أعداد كبيرة منهم ، وقتلوا بعض الجنود ، واستولوا على أحد سفنهم في بحيرة البرلس[٣].

ويستدل على جهل الصليبيين بنهر النيل أن جوانفيل مؤرخ لويس التاسع عندما تحدث عن فيضان النيل اعتقد أنه يحدث وفقًا لمشيئة الله ولا أحد من الناس يعرف وقت فيضانه، وعلل بقاء الصليبيين في دمياط هذه المدة الطويلة إلي خوفهم من أن يدركهم فيضان النيل[٤]، بالرغم من أن ذروة الفيضان تكون في شهر أغسطس ، فكان بوسع الصليبيين أن يتحركوا ويكملوا حروبهم قبل أن يبلغ ماء النيل ذروته[٥].

بالإضافة إلى كل هذه النكبات التى كانت تحدث فى المعسكر الصليبى فى دمياط قامت الطبيعة أيضاً بدورها فى زيادة كوارثهم ، فقد حدث في بداية فصل الشتاء عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م أن ساءت الأحوال الجوية ونشطت العواصف العاتية على الوجه البحرى

---

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٤٠٦. ؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص١١٣.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ،١٠١٤

(٣) جوانفيل : مصدر سابق ،ص ٧١-٧٦.؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص١٢١- ١٢٤.

Runciman, op, cit,III, p.263.; Grousset, op, cit, III,p.447.

(٤) جوانفيل : مصدر سابق ،ص ٧٣-٧٥.؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص١٢٥- ١٢٨.

Rothelin,op.cit,p.592.;Grousset, op, cit, III,p.447.

(١) جوانفيل : مصدر سابق ،ص ٧٩.

(2) Oman, op, cit , I,p. 341, Groussets, op, cit, III, 415 .

سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ،١٠١٣.؛ محمد مرسى الشيخ : مرجع سابق، ص ٥١٣ ، ٥١٤.

وأمام الشواطىء المصرية وأصطدمت بما لا يقل عن مائه وعشرين سفينة للصليبيين مختلفة الأنواع والأحجام كانت موجودة قبالة دمياط وعملت على تحطيمها تحطيماً تاماً ، وغرق جميع الجنود الذين كانوا على ظهورها[١].

وبعد أن قضت القوات الصليبية خمسة أشهر فى دمياط ، ووصلت القوات الصليبية المتأخرة ، وبعد أن أطمئنوا من نهاية موسم الفيضان غادرت منها وأتجهت نحو الجنوب صوب القاهرة في ١٢ شعبان ٦٤٧هـ/٢٠ نوفمبر١٢٤٩م . وسلكت نفس الطريق التي سارت فيه الحملة الخامسة، وهو طريق ملئ بالعقبات والعراقيل ، إذ يعترضه الترع والمجاري المائية السريعة الجريان ، حتي لقد اضطروا إلي التوقف أثناء السير لردم إحدي القنوات لتسهيل مرور قواتهم[٢]. ثم واصلوا سيرهم حتي بلغوا إلي فارسكور يوم الخميس ٢٤ شعبان ٦٤٧هـ / ٢ ديسمبر ١٢٤٩م دون أن تواجههم مقاومة جدية من الجانب الإسلامى[٣]. وفي طريقهم إلى شارمساح أشتبكوا فى قتال عنيف مع المسلمين وأنتهت المعركة بإنتصارهم وبعدها تمكنوا من النزول على شارمساح أول رمضان ٦٤٧ هـ /٨ ديسمبر ١٢٤٩ م[٤].

وفى يوم الثلاثاء ٢١ ديسمبر / ١٤ رمضان تقدموا حتى وصلوا شمال بحر أشموم قبالة جيش المسلمين الذى يعسكر فى المنصورة [٥]، وكان هذا البحر حاجز طبيعى منيع سد الطريق أمام القوات الصليبية ومنعهم من التقدم ، ووقفوا أمامه عاجزين عن عبوره . ويرى أحد المؤرخين أنه مثل لهم أول عقبة جدية تقف أمامهم منذ قيام حملتهم وعجل بهزيمتهم فى المنصورة[٦].

---

(٣) جوانفيل : مصدر سابق ، ص ٧٦.؛
Davis, op, cit, III,pp.28,29.

(4) Rothelin,op.cit,p.597.

جوانفيل : مصدر سابق ،ص ٧٨.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ، ١٠١٦، ١٠١٧.

(٥) المقريزى :الخطط ،ج١، ص٤٠٧.؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص ١٤٤.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ،١٠١٧.

(6) Rothelin,op.cit,p.597.

جوانفيل : مصدر سابق ، ص٨١.؛ لمقريزى :السلوك ، جـ١، ق ٢، ص ٣٣٧.

جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، **144**.؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ،١٠١٧.

(١) جوانفيل : مصدر سابق ، ص٨٣.؛ لمقريزى :السلوك ، جـ١، ق ٢، ص ٣٣٧.؛ الخطط ، جـ١ ، ص ٤٠٨ .؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص١٤٤.

Stevenson , op, cit ,p.327.; Grousset , op, cit, III, p.452, 453 .
(2) Oman , op, cit ,I, 342.

جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، **148** - ١٤٩.

وأخذوا يفكرون فى شأن هذا المانع الطبيعى القوى وكيف يعبرونه إلى الضفة الأخرى له ليلتقوا بمعسكر المسلمين، وكلهم أمل فى الأنتصار والتقدم بسهولة نحو القاهرة ، وقام أحد قوادهم وعرض عليهم بناء جسر على هذا الممر المائى الصعب للعبور عليه ، وأستحسنوا الفكرة وأخذوا يعملون فى تنفيذها بحماسة كبيرة ، وأستطاعوا تشييد جزء كبير منه إلا أن المسلمون تداركوا الأمر وأخذوا يضايقونهم برمى المنجنيقات والنار الإغريقية على الجسر والعمال الذين يقومون ببنائه، كما عملوا على حفر خنادق عميقة ملاصقة لطرفه الذى فى ناحيتهم مما تسبب فى دخول المياه فى هذه الخنادق بقوة ونتج عنه تكسير الجسر، لهذه الأسباب أيقن الصليبيين من إستحالة إقامة الجسر وساءت أحوالهم كثيراً[١].

وبينما هم يفكرون فى أمر عبور الجسر وهم غرقى فى الأحزان ، ويعانون من الضيق بسبب شده مناوشة المسلمون لهم ، جاءهم بعض المصريين وأدلوهم على مخاضة فى هذا الممر يمكن لهم العبور منها ، وبالفعل تعجل الصليبيين العبور ، وعبروا من هذه المخاضة ليلاً لئلا يدركهم المسلمون، وبلغوا إلى الطرف الآخر لبحر أشموم وأصبحوا قريبين من القوات الإسلامية ، وكان ذلك في يوم الثلاثاء ٨ فبراير ١٢٥٠م / ٤ من ذي القعدة ٦٤٧هـ[٢].

وكانت عملية العبور إلى الطرف الجنوبى لبحر أشموم طناح صعبة وشاقة جدا إذ كانت المخاضة عميقة أكثر مما يتوقعون لدرجة أن جيادهم كانت تسبح فى الماء ، وكان الشاطىء مرتفع وكثير الأوحال وهو ماتسبب فى غرق عدد كبير منهم فى الماء[٣].

ويذكر المؤرخون أن المسلمين لم يكونوا يعرفون بأمر عبور الصليبيين ، وأنتهز الصليبيين الفرصة وقاموا بهجوم خاطف على مقدمة القوات الإسلامية وكبدتهم خسائر كثيرة فى

---

(٣) جوانفيل : مصدر سابق ، ص٨١- ٨٧. ؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ١٥٥-١٥٩.

Rothelin,op.cit,p. 600.;Davis, op, cit, pp.34-38.

(١) المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٤٠٨ .؛ جوانفيل : مصدر سابق ، ص٨٨. ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ،١٠١٩.

Lamb,H., The Crusades: The Flam of Islam, London, 1931, p.297.; Campbell, G.A., The Crusades, London ,1935,p.428., King, op ,cit, p.245.; Oman ,op,cit, I,346 .

(2) Rothelin,op.cit,p.603.

جوانفيل: مصدر سابق ، ص٨٨؛ جوزيف نسيم يوسف: مرجع سابق، ١٦٢-١٦٣.

الأرواح، كما هاجموا المدينة وقتلوا بعض سكانها ، وقتل الأمير فخر الدين قائد القوات المصرية، واستولوا على المعسكر الإسلامى [١]. وأمام هذا الأنتصار المباغت لم يطق الفرسان الصليبيين الذين يشكلون مقدمة الجيش الصليبى الصبر والإنتظار حتى عبور الملك الصليبى وبقية القوات من المخاضة ، ولم يتمهلوا إلى حين تعقد الخطط العسكرية ويبدأون فى تنفيذها ، وارادوا إنتهاز فرصة الأنتصار السابق والقيام بالهجوم المباشر على القوات الإسلامية ، فتقدموا حتى بلغوا أبواب قصر السلطان ، وهناك كانت القوات الإسلامية قد أستجمعت قواها وشجاعتها وقدر لها أن يتولى قيادتها قائد مغوار هو ركن الدين بيبرس البندقدارى الذى استطاع مواجهتهم وقتل عدد كبير منهم ، كما تعقب الفارين منهم فى الشوارع والأزقة ، واستطاع بيبرس وجنوده ويعاونه أهل المدينة من إلحاق الهزيمة بفرسان الصليبيين ، وقتل كونت أرتوا شقيق الملك لويس وثلاثمائة من فرسانه وكثير من فرسان الداوية [٢].

وبالرغم من أن الصليبيين استطاعوا الإستيلاء على المعسكر الإسلامى إلا أنهم لم يسلموا من شدة قتال المسلمون المتواصل عليهم ، كما فقدوا كثير من فرسانهم ورجالهم ، وخسروا الكثير من معداتهم وأسلحاتهم[٣]. ويرى أحد المؤرخون أن هذا النصر الذى حققه الصليبيون بالإستيلاء على معسكر المسلمين إنما كان نصراً مؤقتاً ويحمل بين طياته بواعث الهزيمة لأنهم لم ينجحوا فى الإستيلاء على المنصورة أو التقدم نحو القاهرة ، كما أن شدة القتال أدت إلى ضعفهم وكل هذا ساهم فى التعجيل بنهاية حملتهم[٤].

وبعد أيام قليلة من هذه المعارك ، وبسبب مواصلة الصليبيين للقتال لفترة طويلة ، وشدة معاناتهم من قتال المسلمين لهم ، وكثرة عدد جثث القتلى حولهم فسد الهواء ، وتفشي الوباء في معسكرهم ، وتسبب فى موت عدد كبير منهم ، وبلغت شدة هذا الوباء أن أصيب

---

(3) Rothelin,op.cit,p.603,604.

جوانفيل : مصدر سابق ، ص٨٩. ؛

(4) Rothelin,op.cit,p. 604,606.

جوانفيل : مصدر سابق ، ص٨٩.؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ١٦٥- ١٧٠.

(١) عن المعارك التى دارت بين الجانبين هنا راجع :

جوانفيل : مصدر سابق ، ص٩٠- ٩٩ ،١٠٢ – ١٠٩، جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ١٧٠- ١٨٦.

(٢) جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص ١٨٥ ، ١٨٦.

به معظم رجال الجيش وأصيب به الملك نفسه ، وكاد أن يقضي عليه ، وقد يبست أجسامهم ، ولم يظهر منها سوي عظام بارزة ، وظهر على جلدهم بقع سوداء ، وأصيبوا بالتريف الحاد في أنوفهم . وكان يموت كل يوم ما بين عشرين إلى ثلاثين جندي، ولم يكن يوجد في معسكرهم من لا يبكي موت صديق أو قريب له . وحتي الخيل لحقها هذا المرض ومات كثير منها[١] .

وبعد وقت قصير وصل المعظم توران شاة إلي مصر تلبية لدعوة زوجة أبيه الملكة شجر الدر بعد وفاة والده الصالح نجم الدين أيوب ، وجلس على كرسى السلطنة بالقاهرة ، ثم خرج لتوه وبلغ إلي المعسكر الإسلامي في المنصورة وقام على الفور بالمشاركة في القتال ضد الصليبيين ، ولجأ إلى نفس ما لجأ إليه الكامل محمد فى ضرب الحملة الخامسة وهو قطع خط امدادات الجيش الصليبي من دمياط ، بأن سير مراكب فى بحر المحلة وصلت حتى شمالى المعسكر الصليبى وقطعت أمداداته التى تأتيه من دمياط ، وقطع الطريق على الأسطول الصليبى ، وتم الإستيلاء على الكثير من سفنه المحملة بالمعدات والأزواد والرجال. وأستطاع الأسطول المصرى الأنتصار فى جميع المعارك على الأسطول الصليبى[٢].

وعمل هذا على وقوع الصليبيين أسري المجاعة ، حتي أنهم اضطروا إلي أكل لحوم الخيل والحمير والبغال ، وتفشت الأوبئة بينهم حتي سقط عدد كبير منهم بين مريض وقتيل[٣]، وهو ما دعي الملك الفرنسي وباروناته أن يتفقوا على الإنسحاب إلي دمياط إنقاذًا للحملة، وحدث بعد انسحابهم عبر جسر ببحر أشموم طناح أن تركوا الجسر دون تحطيمه الأمر الذي أعطي الفرصة للقوات الإسلامية لأن يفروا ورائهم ويعبروا الجسر ويقوموا بهجوم شديد عليهم ، مما تسبب في الحاق هزيمة كبيرة بالصليبيين وتمكن المسلمين من أسر الملك لويس التاسع ومجموعة كبيرة من القادة الصليبيين[٤]. وبعد المفاوضات بين الجانبين أقروا عقد الصلح بينهما والذي

---

(3) Rothelin,op.cit,p.609.

جوانفيل: مصدر سابق،ص١١٢- ١١٣.؛ أبو المحاسن: مصدر سابق ، جـ٦ ، ص٣٦٤.

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٤٠٩ ،٤١٠ . ؛ جوانفيل : مصدر سابق ، ص١١٣، ١١٤.

(1) Rothelin,op.cit,p.610.

جوانفيل : مصدر سابق ، ص١١٤- ١١٦،١١٧.

(٢) جوانفيل : مصدر سابق ، ص١١٨- ١٢٣.؛ أبو المحاسن : مصدر سابق ، جـ٦، ص ٣٦٤- ٣٦٦ .؛ المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٤١٠ . ؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص ١٩٨ - ٢٠٦.

علي أثره تم تسليم الصليبيين لدمياط وخرجوا من مصر وانتهت حملتهم بالفشل الذي أصاب الحملة الخامسة قبلها . وفي يوم الأحد ٨ مايو ١٢٥٠م / ٤ صفر ٦٤٨هـ أقلعت السفن الصليبية من ميناء دمياط [١]. وهكذا أنتهت الحملة الصليبية السابعة على مصر بفشل كبير نتيجة شجاعة وخبرة الجيوش الأسلامية والأسطول المصرى ، وقيام نهر النيل وبقية العوامل الطبيعية بدور هام فى هذا الأمر.

نستنتج مما سبق أن الصليبين عرفوا أهمية مصر العسكرية والأقتصادية وأخذوا يفكرون فى غزو مصر منذ بداية حملاتهم على بلاد الشام وقبل إستيلائهم على بيت المقدس عام ١٠٩٩ م ولكنهم لم يستطيعوا تطبيق هذا المشروع فى نهاية القرن الحادى عشر لأن الظروف التى أحاطت بهم فى هذا الوقت لم تكن تسمح بذلك . وبذل ملوكهم الأوائل العديد من المحاولات لتنفيذ هذا الغرض ولكنهم فشلوا ، وكان عمورى الأول متحمساً جدا لهذا المشروع وقام بعدة حملات كبيرة لتنفيذه ، وكان أولها حملته فى عام ١١٦٣م/٥٨٨هـ ، ولكنها فشلت ، ومن أهم أسباب فشله هو جهله بالظروف الطبيعية بمصر ، ومنها فيضان النيل وما على النيل من جسور يستخدمها المصريين كسلاح مقاومة له أهميته فى صد حملات المعتدين ، وكذلك فشلت الحملة الصليبية البيزنطية المشتركة التى قاموا بها على مصر عام ٥٦٦هـ/ ٢٥ أغسطس ١١٦٩م بسبب فشلهم فى أقتحام برج السلسلة المنيع المقام على نهر النيل فى مواجة دمياط و البحر المتوسط ، وبسبب حدوث موجة جوية سيئة اشتملت على عواصف وأمطار شديدة وأنخفاض فى درجات الحرارة ، كما قام فيضان النيل بدوره فى رد المعتدين .

كما قامت الظروف الطبيعية بدور كبير فى مواجهة الحملة الصليبية الخامسة على مصر، وقامت أستحكامات نهر النيل وأهمها برج السلسلة بدورها ، فقد واجهت السلسلة الصليبيين وسدت طريقهم فى النيل وأخرتهم فى عبوره للوصول إلى دمياط لمدة طويلة بلغت أربعة أشهر. كما قامت الجسور الذى أقامها الكامل فى النيل عوضاً عن برج السلسلة فى إعاقة تقدمهم

Davis, op, cit, pp.34-38.; Groussets, op, cit, III, 478-483 .

(3) Rothelin,op.cit,p.616- 618,621.

جوانفيل : مصدر سابق ، ص١٢٧- ١٤٦.؛ أبو المحاسن : مصدر سابق ، جـ٦، ص ٣٦٨، ٣٦٩.؛ المقريزى: الخطط ، جـ١، ص٤١٠، ٤١١.؛ جوزيف نسيم يوسف : مرجع سابق ، ص ٢١٣ – ٢٢١ ، ٢٣٢- ٢٤٠.

بعض الشيء، كما لعبت الأحوال الجوية السيئة فى شتاء عام ١٢١٨ م دور كبير فى ضـــرب سفن الصليبيين وتحطيم بعضها ودفع بعضها الآخر إلى المعسكر الإسلامى ، وفى قطع الأمدادات البحرية الأتية من الشرق اللاتينى إلى الحملة فى مصر، وتشارك النهر مع البحر وقاما بهجـــوم عنيف على معسكر القوات الصليبية وأغرق كثير فيه من رجال ومعدات وأســـلحة وأزواد . وقامت الأوبئة والمجاعات بدور كبير فى ضرب المعسكر الصليبى ، وتسببت الظروف الجويـــة السيئة أيضا فى صد بعض هجمات الصليبيين على المسلمين كما حدث فى أوائل فبراير عـــام ١٢١٩م /أوائل ذي القعدة ٦١٥هـــ.

وكما كانت الظروف الطبيعية فى صالح المسلمين فى بعض الأحيان ، فقد كانت أيضا فى صالح الصليبيين فى أوقات أخرى ، ومنها أن صفاء الجو وأكتمال القمر وزيادة ضوئه فى ليلة الثلاثاء ١٨ من ذو القعدة ٦١٥ هـــ / ٥ فبراير ١٢١٩م ،عمل على تمكين الصليبيين مـــن رؤية المعسكر الإسلامى وهو ينسحب من العادلية إلى فارسكور بعد مؤامرة أبن المـــشطوب ، وأرتفاع الماء والأوحال فى المعسكر الإسلامى نتيجة الأحوال الجوية السيئة السابقة ، وأعطـــى للصليبيين فرصة لعبور النهر والإستيلاء على العادلية ، وتهديد دمياط مباشرة .

كذلك لعبت الظروف الطبيعية دورها فى سير الأحداث عند محاصرة الصليبيين لدمياط إذ أنها كانت تعوق بعض محاولات المسلمين فى ضرب الصليبيين ومن ذلك ما حدث فى الرابع عشر من ذي الحجة ٦١٥ هـــ /٣ مارس ١٢١٩م، عندما تراجعت القوات الأسلامية عـــن مهاجمة الصليبيين المحاصرين لدمياط بسبب سوء الأحوال الجوية التى أستمرت لمـــدة أســـبوعاً كاملاً.

وفى هذه الفترة وخاصة فى صيف عام ١٢١٩م والصليبيون قائمون على حصار دمياط كانت بعض هجماتهم على القوات الإسلامية يصيبها الفشل بسبب الظروف الطبيعيـــة مثـــل أرتفاع درجة الحرارة ، وندرة المياه ، ومن ذلك ما حدث فى التاسع والعشرين من أغـــسطس عام ١٢١٩م /١٦ جمادي الثاني ٦١٦هـــ.

كما نجد أن شدة وطول فترة حصار الصليبيين لدمياط وقلة فيضان النيـــل فى صـــيف ١٢١٩، أدى إلى هجوم المجاعات والأوبئة على أهلها ، كما حدثت مثـــل هـــذة الكـــوارث

للمعسكر الإسلامى خارج دمياط وللشعب المصرى كله ، وهو ما كان عاملاً قوياً فى تسليم المدينة للصليبيين بعد حصار دام أكثر من سبعة عشر شهرًا ، وكان سقوطها يوم الثلاثاء الموافق الخامس والعشرين من شعبان ٦١٦هـ /٥ نوفمبر ١٢١٩م.

وكان للظروف الطبيعية دورها فى أختيار الكامل لمدينة المنصورة لتكون معسكراً لجيشه بعد إستيلاء الصليبيين على دمياط ، وذلك لأنها محصنة تحصينًا طبيعياً متميزاً ، وطيبة الهواء وقريبة من مصادر الماء العذب ونهر النيل وما يخرج منه من فروع على جانبيه . هذا إلى جانب أهميتها العسكرية .

كذلك كان ما عاناه الصليبيون من صعاب فى حصار دمياط وطول فترة الحصار رد فعل سيء عليهم إذ أدى ذلك إلى إصابة بعضهم بالأمراض والضعف الصحى وجعلهم يتعجلون الرجوع إلى بلادهم فى أوربا ، ومما لا شك فيه أن عودتهم أثرت كثيرًا على تماسك الجيش الصليبي ، وأسهمت في إصابته بالضعف في الوقت الذي كان في أشد الحاجة إلي مزيد من الرجال ، للتقدم صوب القاهرة. ويضاف إلى ذلك أنهم ضيعوا وقتاً طويلاً فى دمياط بعد أن استولوا عليها ، مما أضرهم كثيرا ، وكان له تأثير سيء كبير على نتائج حملتهم، وكان هذا العامل سبباً من أسباب فشلها.

ومن الظروف الطبيعية أيضًا طبيعة الأرض المصرية التى كان يجهلها الصليبيون فهى مليئة بالترع والقنوات المتفرعة عن نهر النيل وبالمستنقعات ، فكان لهذا الجهل بطبوغرافية الأراضي المصرية نتائج وخيمة على القوات الصليبية ، أما على الجانب الآخر كانت القوات الإسلامية تدرك عن علم ويقين طبيعة الأرض الأمر الذي ساعدها على التفوق على القوات الصليبية في هذه المرحلة الحاسمة ، فعند تقدم الصليبيين نحو القاهرة ووصولهم إلى جزيرة دمياط لم يفطنوا إلى خطورة بحر أشموم طناح وتجاهلوا أهميته ، فعملت القوات الإسلامية على إرسال بعض سفن من أسطولها إلي بحر المحلة لضرب مؤخرة السفن الصليبية لقطع الإتصال بينها وبين إمداداتها الموجودة في دمياط ، وقد كان ، وهو ما أدى إلى خسارتهم لكثير من وحدات أسطولهم وتعطيله تماماً .

ولعب الفيضان دوره فى قيام المصريين بإستغلاله الإستغلال الأمثل بقطع جسور النيل الموجودة بالقرب من الصليبيين وهو ما أدى إلى غرق معسكرهم وأسلحتهم ومؤنهم ، كما أشتدت عليهم حرارة الشمس فأصبحوا يعانون من كل جانب ، وجعلهم يترجون المفاوضات والصلح من الكامل ، وأنتهت حملتهم بالفشل الزريع وخرجوا من مصر فى رجب ٦١٨هـ / سبتمبر ١٢٢١م.

ويتتابع دور الظروف الطبيعية فى سير أحداث الحملات الصليبية على مصر فى الحملة السابعة وكان الوقت عامل هام ولعب دور أساسى فى سير أحداث هذه الحملة ، ومنه أنهم ضيعوا منه ثمانية أشهر كاملة فى قبرص ، وفيها ضربت الأمراض القوات الصليبية ، وتسببت في موت عدد من الجنود ، بينما كانت هذه الفترة كافية لأن تتسرب فيها أخبار الحملة وتصل إلي مصر ، مما أتاح للسلطان الصالح نجم الدين أيوب الفرصة والوقت الكافي للاستعداد لمواجهة الصليبيين . كما عرضهم إلى هجوم العواصف عند خروجهم من قبرص إلى مصر ، وهو ما أدى إلى تشتت بعض سفنهم ودفعها تجاه عكا وشواطئ الشام .

وفى أحداث هذه الحملة لم يستطع برج السلسلة أن يقوم بدوره مثلما قام به في الحملة الخامسة ، وذلك بسبب هروب القوات الإسلامية من أمام الصليبيين على جسراً كان يربط البر الشرقي بدمياط بالبر الغربي ، ولم يتم تحطيمه بعد عبورهم، مما أتاح للصليبيين فرصة العبور إليه دون النظر إلي برج السلسلة. وكان هذا خطأ فادح تسبب فى تفوق العدو الصليبى فى بداية الحملة ، وسهل له الإستيلاء على دمياط .

وعلى الجانب الآخر مكث الصليبيون في دمياط نحو خمسة أشهر ونصف قبل أن يتجهوا جنوبها والسبب فى ذلك أنهم كانوا يعتقدون بقرب فيضان النيل ويخافون منه ، وهو ما تسبب في الإضرار بالحملة كثيراً وحرمهم من مواصلة أنتصاراتهم ، كما كان هذا فرصة كبيرة للمسلمين لإعادة تنظيم أنفسهم والإستعانة بقوات أخري جاءت لنجدتهم من الشام.

ولعبت الأحوال الجوية دوراً كبيراً فى سير الأحداث فقد حدث في بداية فصل الشتاء عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م أن ساءت الأحوال الجوية ونشطت العواصف العاتية على الوجه

البحرى وأمام الشواطىء المصرية وأصطدمت بالسفن الصليبية الموجودة قبالة دمياط وعملت على تحطيمها تحطيماً تاماً ، وغرق جميع الجنود الذين كانوا على ظهورها.

كما أن سطح مصر وطبيعته قام بدوره الذى قام به من قبل فى الحملة الخامسة إذ أن الصليبيين كانوا حتى الأن يجهلونه ، وعند مغادرتهم لدمياط وأتجاههم نحو الجنوب صوب القاهرة في ١٢ شعبان ٦٤٧هـ / ٢٠ نوفمبر ١٢٤٩م ، سلكوا نفس الطريق الذى سار فيه أقربائهم من قبل ، وعملت الفروع والترع الخارجة من نهر النيل على إعاقتهم وتأخير سيرهم . كما كان لبحر أشموم طناح دور فى إعاقتهم ومنعهم من التقدم لبعض الوقت ، وشكل عقبة جدية تقف أمامهم منذ قيام حملتهم وعجل بهزيمتهم فى المنصورة ، حتى أنهم عندما أستطاعوا عبوره عبر مخاضة به ، وتمكنوا من الإستيلاء على المعسكر الإسلامى كان هذا البحر يقف لهم بالمرصاد إذ أستخدمه طوران شاه أحسن إستخدام عندما سير فيه سفن من الأسطول الإسلامى أستطاعت أن تصل إلى شمال المعسكر الصليبى وتضربه من هذه الجهة .

كما لعب بحر المحلة دورا هاما فى هذه الأحداث بأن عمل توران شاه على تسيير عدة قطع من الأسطول فيه هو الآخر وبلغت السفن إلى شمال المعسكر الصليبى وضربت سفن أسطوله وقطعت خط أمدادهم من دمياط . وأصبح الجيش الصليبى محاصراً بشدة ، وهو ما أدى إلى تفشي المجاعات و الأوبئة في معسكرهم ، وموت عدد كبير منهم ، وبلغت شدة هذا الوباء أن أصيب به معظم رجال الجيش وأصيب به الملك نفسه ، وحتي الخيل لحقها هذا المرض ومات كثير منها ، وأدى فى النهاية إلى تسليم أنفسهم للقوات الإسلامية ، ووقوعهم فى الأسر، وإذعانهم لشروط الصلح التى أملاها المسلمون عليهم ، وخروجهم من دمياط ومصر كلها في يوم الأحد ٨ مايو ١٢٥٠م / ٤ صفر ٦٤٨هـ.

هكذا لعبت الظروف الطبيعية لمصر بما تشمله من نهر النيل وفيضانه والأحوال الجوية وعناصرها من رياح وعواصف وحرارة وأمطار دورا كبيرا فى سير أحداث الحملات الصليبية على مصر ، وكانت خير عون وسند للمصريين فى مواجهة الصليبيين .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأجنبية :

- Albert d`Aix,

Historia Hierosolymitana, in Recueil des Historiens des Croisades Historiens Occidenttaux ,tom.,IV,Paris,1879.

- Fabri, Felix,

The Book Of Wandering,(1480 – 1483) 2 vol., 4 parrt,trans. By Aubrey Stewart,London ,1893.

- Nicetas Choniates,

Historia, in Corpus Soriptorum Historiae Byzantinae , Bonn, 1835.

- Roger of Wendover,

Flowers of History , 2 vols ,trans. From latin by J.A. Gilles,London , 1819.

- L` Histoire des Patriarches d` Alexandria,trans., Blochet, in Revue de L` Orient Latin, vol. XL,Paris1908,.

- Oliver of Podenborn ,

The Capture of Damietta, trans.,by Cavigan , Philadelphia, 1948.

- Rothelin,

Continuation de Guillaume de Tyr dite du manuscript de Rothelin (1229 – 1261) in Recueil des Historiens des Croisades Historiens Occidenttaux ,tom.,II, Paris, 1859.

- Matthew Paris,

English History from the year 1235 to 1273, trans from the Latin by J.A.Giles , 2 vols ,London ,1852-1853.

المصادر الأجنبية المعربة :

- **جوانفيل** : حياة القديس لويس ، ترجمة وتحقيق سهيل ذكـــار ، الموســـوعة الشامية فى الحروب الصليبية ، جـــ ٣٥ ، دمشق ، ١٩٩٩.
- **مؤلف مجهول** : الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الـــدين وريتـــشارد) ، ٢ جزء ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، القاهرة : الهيئـــة المـــصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠.
- **وليم الصوري** :الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ، أربع أجزاء ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١ – ١٩٩٥.

المصادر العربية :

- **ابن الأثير** (ت ٦٣٠ هـــ / ١٢٣٤ م) أبو الحسن على بن أبى الكرم ، الملقب عز الدين : الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء ، ليدن ، ١٨٥٣،.
- **ابن إياس** (ت: ٩٣٠ هـــ /١٥٣٣ م) أبـــو البركـــات محمـــد بـــن أحمـــد : كتاب تاريخ مصر المعروف ببدائع الزهور فى وقـــائع الـــدهور ، الطبعة الأولى ، ٤ أجزاء ، بولاق ،١٣١١ – ١٣١٤ هـــ .
- **ابن شداد** (ت ٦٣٢ هـــ / ١٢٣٨ م) أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم: سيرة صلاح الدين الأيوبى المسماة بالنوادر السلطانية والمحاســـن اليوسفية ، القاهرة – طرابلس – لندن : دار الفرجانى، ١٩٨٨.
- **ابن الجوزى** (ت ٦٥٤ هـــ /١٢٥٦ م) أبو المظفر شـــمس الـــدين : مـــرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، المجلد الثامن ، ق ١ ، ٢ ، حيدر أباد ، ١٣٧٢هـــ /١٩٥١م.
- **ابن الجيعان** (ت ٨٨٥هـــ /١٥٨٠م) شـــرف الـــدين يحيـــى بـــن المعـــز: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، بولاق ، ١٨٩٨.

- **ابن خلكان** (ت ٦٨٠ هـ/ ١٢٨٢ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبراهيم : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،٢ جزء ، بولاق ، ١٢٧٥ هـ.
- **ابن العماد** (ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٩ م) أبو الفلاح عبد الحى بن على بن محمد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٤٠ – ١٣٥١هـ.
- **ابن القلانسى** (ت ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزه بن أسد بن على ابن محمد: تاريخ أبو يعلى حمزه بن القلانسى المعروف بزيل تاريخ دمشق ، بيروت ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، ١٩٠٨.
- **ابن كثير** (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣ م) عماد الدين أبو الفدا أسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى : البداية والنهاية ، تحقيق ومراجعة وفهرسة دار أبى حيان ، الطبعة الأولى ، ١٥ جزء ، جـ١٣ ، القاهرة : دار أبى حيان ، ١٩٩٦.
- **ابن مماتى** (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى أسعد: قوانين الدواوين ، ص٣٤٠ .؛ المقريزى السلوك ، جـ٢، ص ١٩٤ .
- **ابن ميسر** (ت ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨ م) محمد بن على بن يوسف بن جلب: أخبار مصر ، جزاءان ، نشر هنرى ماسيه ، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى ، ١٩١٩.
- **ابن واصل** (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ٤ جزء ، جـ ١، ٢، ٣، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة، دار الكتب ، ١٩٦٠ ، جـ٤ ، تحقيق حسنين محمد ربيع ، دار الكتب ، ١٩٧٢.

- **ابن الوردى** (ت ٧٤٩ هـ /١٣٤٩ م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر : تتمة المختصر فى أخبار البشر ،ويعرف بتاريخ ابن الوردى، ٢ جزء ، القاهرة ، المطبعة الوهبية ، ١٨٦٨.
- **أبو شامة** (ت ٦٦٥ هـ ١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن أسماعيل بن أبراهيم بن عثمان شهاب الدين : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزءان فى مجلد واحد ،القاهرة ، مطبعة وادى النيل ، ١٢٨٧-١٢٨٨هـ .
- **أبو المحاسن** (ت٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ٩ أجزاء، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ،١٩٢٩ -١٩٤٢.
- **الذهبى** (ت ٧٤٨ هـ /١٣٤٧ م) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قيماز شمس الدين : دول الإسلام ، ٣ أجزاء ، الهند ١٣٣٧ ، جـ٣ ، ص ٩٠.
- **القلقشندى** (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) أحمد بن على بن أحمد عبد الله : صبح الأعشى فى صناعة الأنشا ، ١٤ جزء ، القاهرة ، ١٩١٣ – ١٩٢٠ .
- **المقريزي** (ت ٨٤٥ هـ /١٤٤٢ م) تقى الدين أبو العباس أحمد : المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، وضع حواشيه خليل المنصور ، ٤ أجزاء ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨.
- **ياقوت الحموى** (ت ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى الملقب شهاب الدين: معجم البلدان ، أربعة أجزاء ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧.

المراجع الأجنبية:

- **Brehier,L.,**

  L`Eglise et L` Orient au Moyen Age,Paris,1928,.

- **Campbell,G.,**

  The Crusades,London , 1935.

- **Davis,E.J.,**

  The Invasion of Egypt in 1249 A.D.(647 A.H.) by Louis IX of France, London,1897.

- **Grousset,R.,**

  Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3 vol., Paris,1936.

- **Heyd, W.,**

  Histoire de Commerce de Levant au Moyen Age, 2 vol., Leipzig,1185-1186.

- **King, E.J.,**

  The Knights Hospiitallers in The Holy Land, London,1931.

- **Lamb,H.,**

  The Crusades: The Flam of Islam, London,1931.

- **Oman, C.W.,**

  A History of the Art of War in the Middle Ages, 2 vols , London, 1924.

- **Runciman,S,**

  Astory of The Crusades,3 vol., Cambridge,1945.

- **Setton .K.M.,**

  A History of The Crusades,2 vol., Pennsylvania, 1958.

- **Stevenson ,W.B.,**

The Crusaders in the East, Camberidge, 1907.

- **Atiya ,A.S.,**

Crusade in the Later Middle Ages,London ,1938.

المراجع العربية :

- **أحمد مختار العبادى** : فى التاريخ الأيوبى والمملوكى ، الأسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٢.

- **السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى** ، البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت : دار النهضة ، ١٩٦٩.

- **جوزيف نسيم يوسف** : العدوان الصليبي على مصر ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ .

: العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، الأسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩.

- **سعاد ماهر** : البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، القاهرة ، ١٩٦٧.

- **سعيد عبد الفتاح عاشور** : الحركة الصليبية ، جزءان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦.

- **عطية القوصى** : تاريخ مصر الأسلامية من الفتح العربى حتى الفتح العثمانى، القاهرة: دار الثقافة العربية ،١٩٩٧.

- **على باشا مبارك** : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ٢٠ جزء ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨.

- **محمد رمزى** : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، قسمين ، ٤ جزء ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٤.

- **محمد محمد مرسى الشيخ** : عصر الحروب الصليبية فى الشرق ، الإسكندرية، ١٩٩٦.

- **محمد مصطفى زيادة** : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١ .

- **محمود سعيد عمران** : الحملة الصليبية الخامسة على مصر ، الأسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨.

: بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، الأسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨.